أريك

ديـوان الثقـافتـين العربيــة والأرمنيــة

عــدد رقــم ٩٤ | السـنة الثالثـة عشـر | أكتـوبر ٢٠٢٣



شُعوب تموت والعالم يُشاهد بعدما ماتت إنسانيته ومازالت الجرائم تتكرر

الفلسطينيون في غزة .. الأرمن في آرتساخ ... الأكراد شمال وشرق سوريا

أريك

نشرة غير دورية تصدرها
جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة

رئيس التحرير:
علي ثابت صبري

سكرتير التحرير:
عطا أحمد درغام

العنوان: ٢٦ ش مراد بك - صلاح الدين
مصر الجديدة - القاهرة
تليفون: ٢٢٩١٦٤٤٤ (٠٢)

رابط مجلة أريك الإلكتروني:
https://me-qr.com/l/ArekArabic

رقم الإيداع: ٢٠١٠/١٨٣٧٤

إعداد وتصميم:
مؤسسة فِكّر للتصميم والإعلان
Fikr Foundation For design and advertising .

الموضـوع — المحتويـات — الصـفحة

السادة القراء الراغبون فى الحصول على هذا الإصدار مجاناً، الرجاء موافاتنا بالبيانات الآتية:

الاســـــــم : ....

المـــهــنـــة: ....

الـــعــنـــوان: ....

البريد الإلكتروني : ....

التليـــــفـــون: ....

حصاد عام ٢٠٢٣
غزة – آرتساخ – شمال سوريا

بقلم: على ثابت صبري

لم أتوقع يوماً أنني سوف أكتب عن الإبادة الجماعية لشعوب المنطقة، بل أكثر من ذلك، أعاصر أحداثها وأشاهد بعض أثارها، بيد أن، الغريب أن ثلاثة شعوب تُباد دون هوادة، وهم الشعب الفلسطيني في غزة، والشعب الأرمني فى آرتساخ، والشعب الكردي في شمال سوريا، وذلك في إطار خطة ممنهجه تُنفذها قوى الشر دون إنسانية أو أي مراعاة للقانون الدولى ! الذى يُطبق على الضعفاء فقط للأسف ! وكذلك فإن المجتمع الدولى ليس له دور فاعل غير تصريحات لا توقف بحور الدم الجارية الآن وحصرياً على أرض غزة وشمال سوريا و آرتساخ .

خيانة أرمن آرتساخ (ناجورنو كاراباخ)

يحق لنا الآن أن نرى خيانة أرمن إقليم آرتساخ بجلاء، والتى نفذت تركيا سياستها المعهودة في إبادة الأرمن في ظل انشغال المجتمع الدولى بأحداث من شأنها إعادة رسم خريطة العالم مرة أخرى، جاء الدعم التركى للجانب الآذرى ناجح جداً في إحداث إبادة عرقية للأرمن داخل الاقليم، وذلك من خلال الهجوم المستمر على أراضي الإقليم بعد حرب ٢٠٢٠، والتى أسهمت فيه تركيا بكل وضوح أمام مرأى ومسمع العالم كله، مما تمخض عنه، فرار آلاف الأرمن من الإقليم، بعد الإعلان عن حل القوات الانفصالية نفسها. ووصل معظم الفارين إلى مدينة جوريس الأرمنية، وقالت قيادة الأرمن في الإقليم الذين يعتبرون كاراباخ وطنهم إنهم لا يريدون



الاضطهاد والتطهير العرقي. وهذا النزوح لم يكن الأول، إذ فر حوالى ٩١ ألف شخص من الإقليم إلى أرمينيا كنتيجة مباشرة لنزاع العام ٢٠٢٠. وكان حوالي ٨٨ ٪ من إجمالي النازحين من النساء والأطفال وكبار السن. فيما اتهم أرمن سوريا الحكومة الأذربيجانية بتعريض الأرمن لإبادة جديدة بمساعدة من الحكومة التركية، وفقاً للبيان: " إن الإبادة الجماعية للأرمن تُعد امتداداً من المذابح والتجويع والتهجير القسري التي تعرض لها مليون ونصف أرمني على يد الحكومة العثمانية ." ، وأضاف البيان، أن " الانتهاكات بحق الأرمن التي تقوم بها أذربيجان تتم بدعم من الدولة التركية للقضاء على الشعب الأرمني، وأذربيجان مستمرة بعدوانها على شعب آرتساخ وممارسة الحرب بجميع أنواعها من تهجير وقتل وحصار". وأضاف البيان، " أنه رغم مرور أكثر من مائة وثمانية عام، ما زال الصمت الدولي، وما يحدث في آرتساخ هو امتداد لجرائم الدولة العثمانية."

وقد أعلنت "جمهورية آرتساخ" المعلنة من جانب واحد (الخميس ٢٨ سبتمبر ٢٠٢٣) مرسوماً أنها ستزول من الوجود بعدما مُنيت بهزيمة عسكرية من أذربيجان دفعت أكثر من نصف سكانها إلى الفرار. وأصدر زعيم الإقليم سامفيل شهرمانيان مرسومًا يأمل بحل جميع مؤسسات الدولة بحلول نهاية العام قائلا إن "جمهورية آرتساخ "ستزول من الوجود" اعتبارًا من ١ يناير ٢٠٢٤، وبذلك سوف يُسدَل الستار على ثلاثة عقود من الحكم الذاتي المدعوم من أرمينيا لآرتساخ ، الذى يتمتع بغالبية أرمنية ولكن للأسف أوقعه الاستعمار ضمن حدود أذربيجان المعترف بها دوليًا .

وجاء في المرسوم أن القرار تم اتخاذه بسبب "الوضع العسكري السياسي الحالي"، وأنه يهدف إلى حماية أمن وأرواح السكان في الإقليم. وجاء في المرسوم أن على السكان أن "يتعرفوا على شروط إعادة الاندماج" التي طرحتها أذربيجان واتّخاذ "قرار فردي ومستقل" بشأن إن كانوا سيبقون. كما لفت شهرمانيان إلى أن اتفاقًا تم التوصل إليه مع أذربيجان سيضمن "مرورًا حرًا وطوعيًا ومن دون عراقيل" لجميع الراغبين بالمغادرة.

من جانبه، اتّهم رئيس الوزراء الأرمني نيكول باشينيان أذربيجان بتنفيذ حملة "تطهير عرقي" في الإقليم مؤكدًا أنه لن يبقى أي أرمن في الإقليم الانفصالي "في الأيام القادمة". وقال باشينيان لأعضاء حكومته إن "تهجير الأرمن من آرتساخ متواصل. يظهر تحليلنا بأنه لن يبقى هناك أرمن فيها. فيما يُشكّل ذلك تطهيرًا عرقيًا حذّرنا المجتمع الدولي منه منذ مدة طويلة". كما اتهم باشينيان أذربيجان باعتقال غير قانوني لأشخاص يحاولون دخول أرمينيا من منطقة آرتساخ، وقال غداة اعتقال حرس الحدود الأذربيجاني للزعيم السابق للإقليم روبن فاردانيان، إن "أذربيجان تجري اعتقالات غير قانونية لأشخاص عند نقطة التفتيش، وهو ما يقلقنا بشدة."، وفي ٢١ أكتوبر أعلنت تركيا استعدادها لافتتاح قنصلية عامة في مدينة شوشي التي احتلتها أذربيجان نتيجة الحرب التي شنتّها على آرتساخ واستمرت ٤٤ يوم وأعلن الرئيس التركى رجب طيب



أردوغان عن ذلك خلال حديث مع الصحفيين المرافقين له خلال زيارته لأذربيجان. " ستجعل الاستثمارات في الفنادق في شوشي أيضاً مركز جذب. كما نفتتح قنصلية عامة في شوشي."

وعلى هذا النحو، فقد نجحت الإدارة التركية فى تنفيذ برنامج اعتادت عليه فى إبادة الأرمن، وأن ما يحدث هو امتداد لما حدث للأرمن فى عام ١٩١٥م بدم بارد. وذلك بغية الاستمتاع بالمميزات الاقتصادية الكبيرة على حساب الشعب الأرمني الذى سُرقت ثرواته و مملكاته من قبل تركيا. أما السؤال الذي يستحق الجواب عليه هو من خان أرمن آرتساخ؟ رغم المناشدات الكثيرة بالحذر مما سيحدث، وعلى صفحات مجلة أريك قد وجهنا رسائل واستغاثات للحذر مما يحدث، وكذلك الكثير من الصحف والكتاب السياسيين والشخصيات العامة ورؤساء دول، ورغم ذلك نفذت تركيا خطتها بالاتفاق مع أذربيجان – التابعة وجدانيًا وسياسياً وعسكرياً لتركيا-

الأكراد في شمال وشرق سوريا

لم تكتفى تركيا بما يحدث في إقليم آرتساخ، إلا أنها تمارس أيضاً بدم بارد في ظل سكوت تام من المجتمع الدولي إبادة بحق الشعب الكردي شمال وشرق سوريا، بغية محو هويته وإزالته من الوجود ، حتى تتمكن من استكمال مخططاتها في الوطن العربي – مشاركةً مع إسرائيل الحليف الاستراتيجي – ،

ووفقاً لـ "هيومن رايتس ووتش" أن الغارات بطائرات مسيَرة التي شنتها القوات المسلحة التركية على المناطق التي يقطنها الأكراد في شمال شرق سوريا بين ٥ و١٠ أكتوبر ٢٠٢٣، ألحقت أضرارًا بالبنية التحتية الحيوية وأدت إلى انقطاع المياه والكهرباء عن ملايين الأشخاص.

ووفق شهود عيان، فإن الغارات على أكثر من ١٥٠ موقعا في شمال وشرق سوريا في محافظات الحسكة والرقة وحلب، قتلت عشرات الأشخاص، بينهم مدنيين، وألحقت أضرارًا بالبنية التحتية. فيما أكدت "الإدارة الذاتية لشمال شرق سوريا" (الإدارة الذاتية) بقيادة الأكراد، والتي تحكم المناطق المستهدفة، أن الهجمات على محطات المياه والكهرباء أدت إلى "انقطاع كامل للكهرباء وإمدادات المياه" عن محافظة الحسكة. بسبب هذه الهجمات، تضررت أيضا منشآت النفط الحيوية وكذلك المحطة الوحيدة العاملة في شمال شرق سوريا التي تؤمّن الغاز للاستخدام المنزلي. في مدينة الحسكة، كان النزاع المستمر على المياه منذ الغزو التركي لأجزاء من شمال سوريا عام ٢٠١٩ قد عرّض حق نحو مليون شخص في الحصول على المياه للخطر، بمن فيهم السكان والمجتمعات النازحة. وأضاف آدم كوغل، نائب مديرة قسم الشرق الأوسط وشمال أفريقيا: "عبر استهداف البنية التحتية الحيوية في أنحاء شمال شرق سوريا، بما يشمل محطات الطاقة والمياه، فيما تجاهلت تركيا التزامها بضمان ألا تؤدي عملياتها العسكرية إلى تفاقم الأزمة الإنسانية البائسة بالفعل في المنطقة. الناس في مدينة الحسكة والمناطق. وأفادت وزارة الخارجية التركية في بيان "كما حدث في العراق، سيستمر تدمير جميع قدرات ومصادر دخل المنظمة الإرهابية في سوريا بطريقة



منهجية". من جانبه، قال وزير الداخلية التركي على يرلي قايا في بيان إنه تم "تحييد" اثنين من مسلحي حزب العمال الكردستاني في منطقة أغري الشرقية في اشتباك مع القوات الخاصة خلال عملية بطائرات مسيرة قتالية ودعم مروحيات هجومية .

لذا، فإن تركيا تنفذ مخطط شبيه للمخطط الإسرائيلي في غزة بوضع سكان تلك المناطق تحت ظروف قسرية، إما أن تؤدى بهم إلى الموت أو النزوح وهجران موطنها، ولا ننسي أن الشعب الكردي عانى معاناة شديدة منذ أن وقع تحت السيطرة العثمانية، ومن بعدها أصبح مستقبله بيد الإمبريالية، والتي أدخلته في الشتات الكبير، بل أكثر من هذا، الاستمرار في التخلص من هذا الشعب صاحب التاريخ الطويل والحافل، فعلى المجتمع الدولي والوطن العربي النظر مرة أخرى لما يحدث وسيحدث ضد الشعب الكردي.

إبادة نوعية تقوم بها إسرائيل في غزة

يُعد حصار غزة، هو حصار خانق فرضته إسرائيل على قطاع غزة إثر نجاح حركة المقاومة الإسلامية – حماس في الانتخابات التشريعية في ٢٠٠٦– قبل دخول حماس غزة بعام، ثم عززت إسرائيل الحصار في ٢٠٠٧ بعد سيطرة حماس على غزة. وفى ظل هذه الأجواء عانى الشعب الفلسطيني فى غزة على مدار كل هذه الفترة فى توفير حياة

شبه كريمة ، إلا أن إسرائيل – دولة الاحتلال – فرضت حصار سكنى – بناء مستوطنات- حول الإقليم، تمهيداً لتفريغه من سكانه الأصليين في ظل مرأى ومسمع المجتمع الدولي ، والذى أصبح ينظر بعين واحدة وليس الاثنين، ولم تتوانى دولة الاحتلال في استغلال الفرصة المناسبة ، حينما استطاعت المقاومة الفلسطينية في يوم ٧ أكتوبر ٢٠٢٣، إذاقة إسرائيل بعض المرارة التي يتجرعها الشعب الفلسطيني منذ عام ١٩٤٨، وبمجرد حدوث هذه الواقعة انكشف الستار عن النوايا الصهيونية في تحقيق مخططاتها في ظل انشغال العالم بحوادث كبيرة من شأنها إعادة تقسيم العالم ، وبدأت بتوجيه ضربة قوية تجاه غزة استهدفت المدنيين بشكل مباشر، والمستشفيات والمدارس والبينة التحتية أو بالأحرى تسوية غزة بالأرض، إلا أن الملاحظ أن معظم الشهداء من الأطفال – المستقبل- فيما يُعد إبادة نوعية للشعب الفلسطيني في غزة ، فيما يتوافق ما سبق مع تصريحات القادة الإسرائيليين نحو ضرورة القضاء على غزة حتى يتم القضاء على حماس، إلا الموقف المصري المشرف والذى لم يتخاذل يوم تجاه القضية الفلسطينية وضحى بالغالي والنفيس من أجلها رغم ظروفه القاسية والاستهداف المستمر من قوى الشر.

تجلى ذلك في تصريحات وتحركات ومساعي فخامة الرئيس عبدالفتاح السيسي الحيثية، والمبينة على وقف إطلاق النار، والسماح بدخول مساعدات للأشقاء والسعي جديًا في حل الدولتين حتى يتمتع الشعب



من حريته، وأُد أن أُشير إلى أن الحملة الشعبية لمقاطعات المنتجات التي لها علاقة من قريب أو بعيد بدولة الاحتلال تؤتى ثمارها.

والواضح أن عام ٢٠٢٣ هو عام إبادة ثلاثة شعوب حصرياً، الفلسطينيون في غزة، والأرمن في آرتساخ، والأكراد في شمال وشرق سوريا، واللافت للنظر هو تشابه المناهج والطرق والأدوار الممارسة لعمليات الإبادة سالفة الذكر، كما توضح بجلاء الشراكة الإسرائيلية التركية للأسف في تنفيذ هذا المخطط، فكل المخططات السابقة بدأت بالحصار وانتهت بالقتل، في ظل هذا التقارب التركى الإسرائيلي المشبوه، ضد شعوب المنطقة .

أضف أيضاً ، ما يحدث للفلسطينيين فى غزة ، هو ما يحدث للأرمن في ناجورنو كاراباخ ، بيد أن، القضية الفلسطينية ورائها دعم عربي وإسلامي، جعل العالم يوجه أنظاره نحو غزة ، وهذا ما ساعد تركيا في تنفيذ سياستها بدم بارد تجاه الأرمن في ناجورنو كاراباخ ، إنها حقاً خطة مُحكمة.

الأرمن في السودان وأثيوبيا



بقلم: أ.د / محمد رفعت الإمام
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الآداب – جامعة دمنهور

يُعد الأرمن جزءًا من منظومة الشرق منذ تكوين أمتهم ودولتهم. وقد نزحوا إلى المنطقة كرعايا للإمبراطوريات الفارسية والبيزنطية التي هيمنت عليها. وبعد احتلال الأتراك العثمانيين لأرمينية والبلاد العربية، تكونت خلايا وجيوب أرمنية في البلاد العربية وأثيوبيا وجنوب أفريقيا. وقد تطورت الجاليات الأرمنية في هذه المناطق بصورة أفضل من نظريتها في مناطق شرق أوروبا والأناضول الواقعة تحت الحكم العثماني. ناهيك أن وصول الفرنسيين والإنجليز إلى الأراضي العربية خلال القرن التاسع عشر أثر بشكل مهم على الأرمن.

لا ريب أن الوجود الأرمني في مصر كان الأهم والأبرز والأقدم والأعمق والأكثر تأثيراً وتأثراً. وفي الأغلب الأعم كان الوجود الأرمني في السودان وأثيوبيا (الحبشة) امتدادًا للوجود الأرمني في مصر. وجدير بالتسجيل، أن الأرمن قد اشتغلوا بالتجارة مع الحبشة منذ القرن الأول الميلادي. وفي أعقاب الفتوحات العربية الإسلامية لمناطق الشرق الأوسط خلال القرن السابع الميلادي، أخذ الأرمن يتوافدون ويستقرون في بلاد الحبشة والأراضي السودانية. وصارت الجالية الأرمنية الأثيوبية همزة وصل مع البلاد العربية والأوروبية في آن واحد على المستويات الاقتصادية والثقافية.

هذا، وقد رحبت الكنيسة الأثيوبية، شأن الكنيسة المصرية، بالأرمن على خلفية موقفهم المناهض لقرارات مجمع خلقيدونية (٤٥١م). وأسس الأرمن علاقات طيبة مع البلاط الأثيوبي، وعملوا في وظائف مرموقة رفيعة



من أمثال المترجمين، والسكرتيرين، والدبلوماسيين. وكانت الكنيسة الاثيوبية تُدين بالفضل للكنيسة الأرمنية لأن الأخيرة سمحت للأثيوبيين بإقامة القداديس في الكنائس والأديرة الأرمنية بالقدس. وخلال القرن السادس عشر، كان ماتيوس الأرمني الأثيوبي مبعوثاً للبرتغال، وتفاوض مراد الأرمني الأثيوبي مع هولندا لإبرام اتفاقيات تجارية بالأصالة عن أثيوبيا.

وبدءًا من الربع الأخير من القرن التاسع عشر، أخذت أفواج أرمنية تتوافد بصفة عامة على مصر وأثيوبيا والسودان لاسيما بعد تصعيد القضية الأرمنية على المستوى الدولي وبداية المواجهات الدموية من قبل النظام العثماني ضد الأرمن. وإذا كان ثمة أرمن قد عملوا في السفارات الأوروبية بأديس أبابا، فقد كان معظم الأرمن الأثيوبيين تجارًا، وشأن أرمن المهجر، أسس أرمن أثيوبيا كنيسة ومدرسة في أديس أبابا للحفاظ على هويتهم القومية لاسيما اللغة الأرمنية وطقوس الكنيسة الأرمنية. وقد تميز الأرمن الأثيوبيين – عكس معظم أرمن المهجر – بوجود زواج مختلط بين الأرمن والأثيوبيين، مما أسفر عنه نوع من الأرمن أصحاب البشرة السمراء

أما الوجود الأرمني في السودان، فقد ارتبط رباطًا وثيقاً وعضوياً بالجالية الأرمنية في مصر. وإذا كانت الجاليتان الأرمنيتان المصرية والأثيوبية أقدم في تكوينهما وأعمق في دورهما، فإن الجالية الأرمنية في السودان تُعد حديثة نسبيًا. فثمة أرمن مصريون نزحوا جنوبًا إلى السودان عقب فتوحات محمد علي باشا. وازداد الوجود الأرمني رويدًا رويدًا في السودان منذ منتصف القرن التاسع عشر لاسيما زمن حكم آراكيل بك نوباريان، (١٨٥٨-١٨٥٧) و آراكيل بك آبرويان،١٨٧٥-١٨٧٤.

وازداد الوجود الأرمني في السودان منذ تصعيد القضية الأرمنية منتصف سبعينات القرن التاسع عشر. وعقب المذابح الحميدية(١٨٩٤ – ١٨٩٦) أخذ الأرمن يتوافدون على السودان، وتكاثروا نسبيا إبان حقبة الإبادة الجماعية(١٩١٥-١٩١٦)، وقلاقل قيليقية (١٩٢٢-١٩٢٣).

تمركز الأرمن السودانيون في الخرطوم وأم درمان وكتارف وغيرها من المدن. ورغم عدم وجود إحصاءات رسمية دقيقة، فثمة روايات تذكر أن أعداد أرمن السودان قد تراوحت بين ألفين على الأكثر وألف نسمة على الأقل.

رغم انخراط بعض الأرمن في أجهزة الإدارة بالسودان، فإن السمة الغالبة على أرمن السودان هي الاشتغال بالتجارة لاسيما كوسطاء لشركات السجائر الأرمنية الكبيرة من أمثال ماتوسيان وميلكونيان وجامراجان وإيبكيان وغيرها. كما اشتغلوا وكلاء لبيت البترول الروسي (مانتاشيف). وقام التجار الأرمن السودانيون بتصدير ريش النعام والعاج وسن الفيل إلى البيوتات التجارية الأوروبية.

وفي الشوارع الكبرى بالخرطوم وأم درمان وكردفان، انتشر الحرفيون الأرمن لاسيما المصوراتية، والساعاتية، والصاغة والحفارين وغيرها. وبصفة عامة، انتشرت الجالية الأرمنية السودانية في الميادين الاقتصادية بدءا من التجارة الجملة والقطاعي مرورا بالمهن والحرف والزراعة وانتهاء بالوظائف الإدارية. وعلي المستويات الدينية والثقافية، ارتبط أرمن السودان بأقرانهم في مصر وأثيوبيا.

وبمرور الوقت، تكون جيل من أرمن السودان في الخرطوم وأم درمان تلقوا تعليمهم من مدارس الإرساليات الأجنبية، واستكملوا دراستهم في أوروبا. وفي عام ٩١١ تأسست أول جمعية خيرية في الخرطوم لرعاية الأيتام والإشراف على تعليم أبناء الجالية وغيرها من الأمور وثيقة الأصل بهوية الأرمن وخلال عامي ١٩١٧-١٩١٨م، اعترفت الإدارة السودانية باللوائح الداخلية المنظمة للجالية الأرمنية السودانية. وفي عام١٩٢٣ تأسست أول مدرسة أرمنية سودانية في مدينة كتارف، وظل بناؤها إلى عام ١٩٢٦م على مساحة من الأرض التي منحتها الإدارة السودانية إلى الأرمن السودانيين. وفي الخرطوم، تأسست أول مدرسة أرمنية عام ١٩٥٧م.

وإذا كان الأرمن قد تراجعوا نسبي في السودان وتركزوا في الخرطوم، فقد تحرك معظم أرمن السودان للاستقرار في أثيوبيا. وقد اكتسب الأرمن الأثيوبيون مكانة مهمة عند الإمبراطور هيلا سلاسني الوطني الأثيوبي السابق. وأقام رجال الأعمال الأرمن الأثيوبيون مشروعات الطواحين والمدابح مصانع الأحذية والمطابع. وفي عام ١٩٢٤م، تأسست كنيسة أرمنية كبيرة في أديس أبابا، وفي عام ١٩٢٥م، تأسست مدرسة أرمنية هناك.

وحسب كل الدراسات والإحصاءات، لم تكن الجالية الأرمنية الأثيوبية كبيرة العدد؛ إذ لم يزد عددها عن ١٥٠٠ نسمة، بعضهم من زيجات مختلطة أرمنية أثيوبية. بيد أن الثورة العسكرية والحروب الأهلية(١٩٧٤-١٩٩١م) قد أدت إلى تأميم المشروعات الأرمنية الخاصة، وتراجع عدد الأرمن إلى حوالي ١٥٠ نسمة فقط.

هاجر معظم الأرمن الأثيوبيين إلى الولايات المتحدة وأستراليا وكندا. وقد ضمت المدرسة الأرمنية بأديس أبابا أحد عشر طالب أرمنياً فقط، ستة منهم من زيجات مختلطة. وكانت الكنيسة بلا قسيس وتؤدي وظائفها بمساعدة رئيس الشمامسة. بيد أن نادي ومطعم آرارات الأرمني، ظل الأجانب والهيئات الدبلوماسية ترتاده، ويُساهم دخله في دعم الكنيسة والمدرسة.

وعلى نفس الوتيرة، تراجعت أعداد الأرمن في السودان لاسيما مع اندلا ع الحرب الأهلية منذ أواخر ثمانينيات القرن العشرين؛ ورغم وجود نادي وجمعية خيرية للأرمن

في الخرطوم وأم درمان، فقد فقدت الجالية الأرمنية السودانية القدرة على مواصلة الحياة، وهاجر معظم أرمن السودان إلى جنوب أفريقيا والولايات المتحدة الأمريكية وكندا وأستراليا.ونظرا لأهمية ومكانة ودور آراكيل نوباريان و آراكيل آبرويان في السودان وأثيوبيا، فسوف نفرد لهما مساحة على النحو التالي

آراكيل بك: الأمير العادل في السودان

ينتمي آراكيل إلى أسرة نوباريان العريقة وصاحبة الأدوار المتعددة والمتنوعة والمؤثرة في العالمين العثماني والمصري لاسيما خلال القرن التاسع عشر. وكانت هذه الأسرة وثيقة الصلة بعائلات يوسفيان و آبرويان الذين شكلوا معاً صدارة الأرستقراطية الأرمنية وأسهموا بامتياز في البيروقراطية المصرية والحياة العامة.تزوج مجرديتش نوباريان من جولهانم آبرويان، وأنجبا أربعة أبناءهم: سوغومون شلبي الذي أقام في أزمير، و جرابيد (شارلو) الذي عمل مترجمًا لدى الوالي المصري محمد علي باشا، و آراكيل بك حاكم الخرطوم وسنار، و نوبار باشا أحد أبرز أقطاب السياسة المصرية خلال القرن التاسع عشر. ولد آراكيل في ١٨٢٦ بأزمير. وقد جاء إلى مصر ضمن أسرة نوباريان التي استدعاها بوغوص بك يوسفيان (١٧٧٦-١٨٤٤). مستشار محمد علي باشا وفيلسوفه - للعمل في البلاط الحاكم والدولاب الحكومي المصري. وقد بدأ آراكيل حياته ترجمان لإبراهيم باشا، ثم أصبح كبير التراجمة (باشترجمان) في عام ١٨٥٦ وأنعم عليه بالرتبة الثانية المتمايزة. وتعد هذه الوظيفة البوابة الرئيسية التي عبر منها آراكيل إلى الوظائف الكبرى والمناصب العليا، تعرض آراكيل إلى اضطهاد الوالي عباس الأول(١٨٤٩ - ١٨٥٤)، فغادر مصر إلى أوروبا. ومنذ بداية حكم الوالي سعيد باشا ١٨٥٤-١٨٦٢ عاد كبار الموظفين المسرحين وتقلدوا مناصب رفيعة المستوى وبينهم آراكيل بك الذي شغل منصب مدير الخرطوم وسنار وملحقاتهما١٨٥٨-١٨٥٧.ارتبطت ظروف تقلد آراكيل منصب مدير الخرطوم بزيارة الوالي سعيد باشا إلى السودان وما أسفرت عنه من نتائج. ففي يناير ١٨٥٧ توجه سعيد باشا إلى السودان في زيارة تفقدية أدرك خلالها معاناة الأهالي بشدة من فداحة الضرائب وظلم الحكام. وأخذ سعيد باشا يصلح أحوال السودان المتردية بعد أن كاد يخليه لولا وساطة الأعيان. وقد أمر الوالي المصري بإعفاء الأهالي من الضرائب المتأخرة عليهم، وعدل نظامها بحيث انخفضت انخفاضًا كبيرًا، وأنشأ محطة في صحراء كروسكو لتسهيل نقل البريد والمسافرين بين مصر والسودان، وأقام نقطة عسكرية على نهر السوباط لمنع تجارة الرقيق ومطاردة النخاسين. كما أصدر الأوامر إلى مديري الأقاليم السودانية بمراعاة العدالة بين الأهالي في الضرائب والسخرة والقضاء.وعلى المستوى الإداري، وسع سعيد باشا في سودنة الإدارة نسبيًا. بإنشاء مجالس محلية تتألف أعضاؤها من رؤساء العشائر والعائلات السودانية، وعزل الموظفين الأتراك الذين أساءوا معاملة الأهالي واستبدلهم بسودانيين. كما ألغى منصب الحكمدارية العامة، وقسم السودان إلى خمس مديريات مستقلة عن بعضها وهي: سنار وكردفان والتاكة وبربر ودنقلة، وتتبع كل منها حكومة القاهرة مباشرة. وضم سعيد باشا الخرطوم إلى سنار في مديرية واحدة جاعلا آراكيل بك نوباريان مديرًا لها ومشرفًا على الإصلاحات التي أقرها نظرًا لما يُوصف به من حسن التدبير والسياسة.

وبادئ ذي بدء، قوبل آراكيل بك بمعارضة شديدة من قبل أقوى القبائل السودانية، وكادت معارضتهم تنقلب ضد حكومة القاهرة لأنها أقامت عليهم حاكم مسيحيا لأول مرة. وعندئذ، استقر رأي ضباط آراكيل على ضرورة محاربتهم وإخماد معارضتهم بسرعة حتى لا تحذو القبائل الأخرى حذوهم. بيد أن آراكيل رفض أن يبدأ حكمه بمحاربة رعاياه، وآثر مواجهة الموقف سلميًا ودبلوماسيًا. ولهذا، توجه أعزل السلاح إلى القبيلة المعارضة، وتحاور مع زعيمها أبي سن حول طبيعة معارضتهم؛ هل هي ضد الحكومة أم ضده كمسيحي؟ رد أبو سن بأنها ضده شخصيا كمسيحي. رد آراكيل عليه قائلاً: "إذا كان الأمر كذلك، فافعل بي ما تشاء حتى لا يُقال أنني كنت سببًا في إراقة دماء الرعايا المخلصين لمولانا"؛ أي سعيد باشا.

هزت كلمات آراكيل مشاعر أبي سن، ورد بقوله: لقد هزمتني وبذا، نجح آراكيل بك في استيعاب الموقف والقضاء على أول أزمة صعبة واجهته في مستهل حكمه، وأصبح المعارضون من أهم وأبرز أعوانه.ورويدًا رويدًا، أخذ آراكيل ينظم أحوال مديرية الخرطوم وسنار وملحقاتهما، ويشرف على تنفيذ برنامج سعيد باشا الإصلاحي.فاستبدل الكتبة والصيارفة الفاسدين في المديرية وباقي مديريات السودان بغيرهم من المؤهلين والأكفاء الذين انتدبهم من القاهرة. وكون مجلسًا للتجار

وارتفاع نفقاتهم. وبذل آراكيل جهودًا حثيثة لجعل الخرطوم مدينة لائقة صحيًا وتحسين الصحة العامة للنهر المقابل للخرطوم. ورغم صرامة آراكيل بك، فقد كان حاكمًا مستنيرًا، نجح خلال حكمه القصير في تطبيق هامش من العدالة وتحجيم السخرة، ووضع قوانين لضبط علاقات الأهالي. ولهذا، أطلق عليه السودانيون لقب "الأمير العادل". ومع هذا، ظل يُعاني من اضطهاد بعض المسلمين المتشددين ضده لأنه مسيحي.

مات آراكيل بك نوباريان في ١٢ سبتمبر ١٨٥٨م على أثر إصابته بالدوسنتاريا أثناء عودته إلى الخرطوم بعد أن سوّي مشكلة رفض احدى القبائل دفع الضرائب، فتجرع دواءً شديدًا لإيقاف المرض، لكنه قضي عليه. ويذكر نوبار باشا – شقيق آراكيل – بأنه كان يدعو أخاه للعودة إلى مصر، ولكن آراكيل كان يرد عليه قائلاً: "إن أمنيتي هي مغادرة الخرطوم، ولكن، لمن أترك هؤلاء التعساء؟."!

وإذا كان آراكيل بك نوباريان قد شغل موقعاً إداريًا رفيع المستوى في السودان زمن الوالي سعيد باشا، فقد برز آراكيل بك آبرويان في مصوع زمن إسماعيل باشا (١٨٧٣-١٨٧٩) على نحو ما سوف نفصله حال.

آراكيل آبرويان: الحاكم الطموح

ينتمي آراكيل آبرويان إلى أسرة آبرويان العريقة التي تضرب بجذورها إلى أسرة بقرادوني خلال العصور الوسطي. ولد آراكيل استبيان آبرويان عام ١٨٣٣م. وقد تدرج في الخارجية المصرية حتى شغل منصب حاكم مصوع التابعة لمديرية عموم شرقي السودان ومحافظة سواحل البحر الأحمر، منذ أول ديسمبر ١٨٧٣ حتى نوفمبر ١٨٧٥م.

بدأ آراكيل بك أبرويان حكمه بإنجاز عدة مشروعات من أبرزها إنشاء خط حديدي بين مصوع وكلا انتهى في عام ١٨٧٤. كما احتك آبرويان بالقناصل الأوروبيين الذين اتهموا إدارته بأنها تغض الطرف عن تجار الرقيق حتى أن أهالي مصوع كانوا يحصلون على أرباح ضخمة من وراء هذه التجارة المحرمة. هذا، وقد أذاع القساوسة الفرنسيون في أوروبا بأن المملكة الحبشية المسيحية قد تخربت على أياد أشخاص مسلمين من رعية الحكومة المصرية.

يُتاجرون في الرقيق بمساعدة الحكومة المحلية في مصوع؛ وإزاء هذا، رأي آراكيل آبرويان تشديد مراقبة تجار الرقيق بالسواحل المصرية، وحتى نتأكد أوروبا بالبراهين القوية أنه جار مجازاة تجار الرقيق وقمعهم. وخلال تلك الفترة، أدت أطماع الخديو إسماعيل في ضم الحبشة لأملاكه إلى إرسال حملتين؛ الأولى بقيادة آرندروب بك للهجوم عليها من جهة الشمال عن طريق مصوع، والثانية بقيادة منزنجر باشا – مدير شرقي السودان ومحافظة سواحل البحر الأحمر– للهجوم عليها من جهة الجنوب عن طريق ميناء تاجورة الواقع على خليج عدن. وقد اشترك آراكيل بك آبرويان –محافظ مصوع– ضمن حملة آرندروب. ففي الابتداء، عمل مترجمًا لكبار الضباط لأنه كان يُجيد اللغات التركية والفرنسية والإنجليزية والألمانية. وبعد ذلك، طلب آراكيل آبرويان من الخديو إسماعيل الاشتراك عسكريا في الحرب مع آرندروب، فسمح له بذلك.

وتجد الإشارة إلى أن آراكيل آبرويان كان طموحا يسعى إلى إحراز مكانة عالية، ولهذا، كان من أكبر أنصار الحملة على الحبشة وأنشطهم. وقد قاد فرقة عسكرية مكونة من ٨٠٠ سوداني ضمن حملة آرندروب التي زحفت بتهور عبر الجبال لمحاربة جيش الملك الحبشي يوحنا نيجوس البالغ عشرة أضعاف الحملة المصرية. وبعد اشتباك في منطقة جونديت، انهزم الجيش المصري، و أبيدت فرقة آراكيل آبرويان عن بكرة أبيها. وقد اختلفت الآراء حول موت آبرويان. فثمة روايات تذكر أنه قتل على أياد الأحباش. وثمة روايات أخرى تذكر بأنه انتحر خشية الوقوع في الأسر. بيد أنه قد ورد في ملف خدمة آراكيل عن ظروف وفاته: "أنه توجه إلى حرب الحبشة مع آرندروب بك بناءً على أوامر الحضرة الخديوية وقتل على أياد الأحباش."

ومهما يكن من الأمر، أسهم الأرمن في إدارة الأقاليم التي كانت تابعة لمصر في السودان والحبشة. ورغم صعوبة المناطق

التي أداروها جغرافياً واقتصاديًا، فقد نجحوا نسبيًا في إدارتها، وأسهموا في تنفيذ مشروعات مصر التوسعية في أفريقيا.



مستقبل الطاقة والمحطات الشمسية فى مصر

بقلم: جاكلين جرجس

لا ريب أن مشكلة الطاقة وكيفية الحصول عليها وضمانات عدم زوالها باتت مشكلة تؤرق العالم كله خاصة مع تداعيات أزمتي كورونا وتصاعد الأزمة الروسية الأوكرانية، والقارئ لكتب تاريخ دول العالم فى العصور الماضية يجد أن إمبراطوريات ضخمة زالت من الوجود حين نضب لديها مصدر الطاقة الرئيسي الذي كانت تعتمد عليه، لذلك فإن الأمان الوحيد لأي بلد أن تعتمد على مصادر متعددة ومتنوعة للطاقة لضمان استمرارية وجودها على خريطة العالم، ونجد أن مجلس الطاقة العالمي يرفع مبدأ "الاحتفاظ بجميع خيارات الطاقة مفتوحة" ويروج له في العالم كله منذ أكثر من عشرين عامًا، لينبه دول العالم أنها بحاجة حقيقية لجميع أنواع الطاقات، الأمر الذي كان من شأنه أن يرتقي بمصر إلى مستويات وآفاق أرحب في مسيرة التنمية لاستراتيجية الطاقة التى أعلنتها مصر فى أعقاب أزمة الطاقة الكبرى فى الأعوام ٢٠١٢- ٢٠١٤ .

أما الآن ونحن فى الألفية الثالثة نسمع مصطلح يتردد بقوة فى الآونة الأخيرة، وهو الهيدروجين الأخضر وهو ما يجب علينا أن نتوقف قليلاً لفهمه والتركيز عليه. علمياً، من المتعارف عليه أن الهيدروجين الأخضر نوع من الوقود الناتج عن عملية كيميائية يستخدم فيها تيار كهربائي ناتج عن مصادر متجددة لفصل الهيدروجين عن الأكسجين في الماء، وبالتالي تصبح طاقة ناتجة دون انبعاث ثاني أكسيد الكربون بالغلاف الجوي والمسبب للاحتباس الحراري. وتُشير الدراسات إلى أنواع الهيدروجين، منها الأزرق، الناتج عن طريق إعادة تشكيل بالبخار، ولكن يتم التقاط جزء من انبعاثات الكربون، بحيث يتم عزله أو استخدامه مرةً أخرى، وهناك أيضًا الهيدروجين الوردي الذي ينتج في حالة الحصول على الكهرباء المستخدمة في تقسيم الماء إلى هيدروجين وأكسجين داخل محطة نووية ." في حالة الهيدروجين الأخضر، نجده ناتج عن استخدام الطاقة الكهربائية المولدة من الطاقات المتجددة، "مثل الرياح، والطاقة الشمسية، والطاقة الهيدرومائية " لتقسيم الماء إلى مكوناته "الهيدروجين والأكسجين"، وفي هذه الحالة تكون عملية إنتاج الهيدروجين خالية من الكربون وأي ملوثات للهواء.

على ما يبدو أن الهيدروجين الأخضر هو الموضوع الأبرز الآن على ساحة الاقتصاد الأخضر العالمي، وقد تبنى الاتحاد الأوروبي عام ٢٠٢٠ استراتيجيته الخاصة بالهيدروجين في إطار ما عرف بـ" الصفقة الخضراء الأوروبية "، وهي خطة تقترح التحول إلى الهيدروجين الأخضر بحلول عام ٢٠٥٠، من خلال الإنتاج المحلي وإنشاء إمدادات ثابتة من إفريقيا. فيما أعلنت العديد من الدول حول العالم بما فيها الدول المتقدمة، مثل أستراليا وفرنسا، وأيضًا الأسواق الناشئة، مثل الهند والبرازيل، عن مبادرات للهيدروجين الأخضر. وقد انضمت مصر أيضًا لتلك الأسواق كجزء من المبادرة الوطنية، كما تهدف إلى دمجه في استراتيجية الطاقة ٢٠٣٥، والاهتمام بالانتقال إلى الطاقة النظيفة، والعمل على خفض الانبعاثات الصادرة عن استخدام الوقود الأحفوري.

لذلك، كثفت الحكومة من جهودها واتجهت بقوة مشجعة للقطاع الخاص على المشاركة في هذه المشروعات، حتى أُعلن، في أحدث جلسات اجتماع مجلس الوزراء المصري، موقف عدد من مذكرات واتفاقيات التعاون التي وُقِّعَت خلال المدة الماضية، مع عدد من الأطراف والشركات العالمية لتنفيذ مشروعات لإنتاج الهيدروجين الأخضر وتصديره، من خلال عدة توقيع مذكرة تفاهم مع البنك الأوروبي لإعادة الإعمار والتنمية لتمويل الأعمال الاستشارية لإعداد الاستراتيجية الوطنية للهيدروجين.

-توقيع اتفاقية التطوير المشترك لمشروع إقامة وتشغيل منشأة لإنتاج الهيدروجين الأخضر بقدرة ١٠٠ ميجاواط، في المنطقة الصناعية بالعين السخنة التابعة للمنطقة الاقتصادية لقناة السويس.

-توقيع اتفاقية الشروط الرئيسة لعقد شراء الهيدروجين، بين كل من: "صندوق مصر السيادي"، وشركات سكاتك النرويجية للطاقة المتجددة، وأوراسكوم للإنشاء، وفيرتيجلوب.

-توقيع مذكرة تفاهم بين كل من الهيئة العامة للمنطقة الاقتصادية لقناة السويس، وصندوق مصر السيادي، وهيئة الطاقة الجديدة والمتجددة، والشركة المصرية لنقل الكهرباء، وشركة ميرسك العالمية؛ لإقامة مشروع لإنتاج الوقود الأخضر لإمدادات تموين السفن والوصول للحياد الكربوني كل هذه الجهود من شأنها تحويل مصر إلى ممر أخضر لعبور الطاقة النظيفة إلى أوروبا والعالم.

بعد أن ثبت بالدليل العلمي أن النشاط الإنساني منذ الثورة الصناعية وحتى الآن تسبب، ولا يزال، في أضرار جسيمة تعاني منها كل الدول والمجتمعات وقطاعات النشاط الاقتصادي، ما يستلزم تحركًا جماعيًا عاجلًا نحو خفض الانبعاثات المسببة لتغير المناخ مع العمل بالتوازي على التكيف مع الآثار السلبية لتغير المناخ ومن المعروف أن مشكلتى الاحتباس الحرارى وتغير المناخ حدثتا بسبب الاستخدام السلبى للوقود ، لذلك وضعت مصر قضية تغير المناخ في مقدمة جهودها، نظرًا لموقعها في قلب أكثر مناطق العالم تأثرًا بتغير المناخ.

فرغم أن القارة الإفريقية تاريخيًا الأقل إسهامًا في إجمالي الانبعاثات الكربونية العالمية، إلا إنها من أكثر المناطق

تضررًا وتأثرًا من آثار تغير المناخ، مثل: تزايد وتيرة وحدة الظـواهر المناخيـة المتطرفـة، وارتفـاع منسـوب البحـر، والتصحر، وفقدان التنوع البيولوجي، مع ما تمثله هذه الظواهر من تهديد لسبل عيش الإنسان ونشاطه الاقتصادي وأمنه المائي والغذائي وقدرته على تحقيق أهدافه التنموية المشروعة والقضاء على الفقر.

قد يكون وضع مصر الآن بعيد عن المستويات التجارية، ولكن هناك العديد من المقترحات من جانب القطاع الخاص ولكن لم تحدد مبالغ واضحة للاستثمار المستهدف، خاصةً أن الهيدروجين الأخضر عبارة عن مشاريع طويلة الأجل يبلغ عمرها التشغيلي نحو ٢٥ عامًا، لذلك يحتاج المستثمرون إلى أن يكونوا قادرين على إجراء دراسات جدوى وافرة وواقعية من حيث التكلفة. أيضًا، يجب أن يكون هناك تعاون بين الحكومة والقطاع الخاص، وبالتأكيد سيحتاج القطاع الخاص إلى بعض التشريعات المحتملة الخاصة بإمكانية إطلاق المشاريع، وإلى حكومة تعمل على وضع الإطار التنظيمي الصحيح لجذب الاستثمار، كما نحتاج إلى دعم من شركاء التنمية الأجانب لتدريب الخبراء وتحديد مساهمة تكنولوجيا الهيدروجين فمن المتوقع تمويل دراسة استراتيجية تطوير الهيدروجين في مصر من خلال منحة من الوكالة الفرنسية للتنمية.

بالتأكيد، نحتاج إلى تكاتف جهود كل المؤسسات المعنية لجذب مزيد من الاستثمارات لمشروعات التحول الأخضر حتى تتحقق خطة تصدير كامل إنتاجنا لأوروبا وتصبح مصر ممرًا أخضر يعبر به العالم إلى الطاقة النظيفة، فتاريخ مصر الطويل ساهم في تشجيع التحول إلى الطاقة المتجددة، وعلى الرغم من أنها تُعد دولة منتجة للوقود الأحفوري خصوصًا الغاز الطبيعي، إذ تأتي ضمن أكبر مصدري الغاز المسال، وتُعد المصدر الأسرع نموًا للغاز الطبيعي المسال بمنطقة الشرق الأوسط وشمال وأفريقيا، رغم أن احتياطاتها من الغاز مقارنةً بدول مثل قطر والمملكة العربية السعودية وإيران تُعد بسيطة، بسبب موقعها الجغرافي على البحر الأبيض المتوسط، وقربها من الأسواق الأوروبية، أضف إلى ذلك أنه على الرغم من اعتمادها على الغاز الطبيعي والنفط في توليد الكهرباء (بنسبة أكبر من ٦٠٪)، ولكن هناك اهتمامًا وطنيًا متزايدًا بتنويع مزيج الطاقة والاستفادة من إمكانات الطاقة المتجددة المتوفرة في مصر .

و طالما كان الهدف من رؤية مصر ٢٠٣٠ أن نسعى إلى الحفاظ على التنمية والبيئة معًا، من خلال الاستخدام الرشيد للموارد بما يحفظ حقوق الأجيال القادمة في مستقبل أكثر أمنًا وكفاية، ويتحقق ذلك بمواجهة الآثار المترتبة على التغيرات المناخية وتعزيز قدرة الأنظمة البيئية على التكيف، والقدرة على مواجهة المخاطر والكوارث الطبيعية وزيادة الاعتماد على الطاقة المتجددة، وتبني أنماط الاستهلاك والإنتاج المستدامة. ومن هذا المنطلق، تحتل الطاقة المتجددة مكانة رئيسة في خطط التنمية المستدامة وذلك من منظور تعظيم الاستفادة من الموارد الطبيعية، كالطاقة الشمسية وطاقة الرياح، بالإضافة إلى ترشيد استخدام جميع الموارد، سواء المتاح منها بوفرة أو النادر، وكذلك سعي الدولة إلى تحسين كفاءة استخدام الطاقة.

لذلك اتجهت الدولة إلى أهمية توليد الطاقة و الكهرباء من طاقة الرياح و الطاقة الشمسية و وصول نسبة مساهمة الطاقة المتجددة بقدرة توليد الكهرباء إلى حوالي ٤٢٪ بحلول عام ٢٠٣٥ ،لتشمل ١٤٪ كهرباء مستمدة من طاقة الرياح، و٢١٪ من الطاقة الشمسية الكهروضوئية، بالإضافة إلى الطاقة الكهرومائية والطاقة الشمسية المركزة، وهنا تجب الإشارة إلى أن مصر نجحت فى رفع نسبة مساهمة الطاقة المتجددة في قدرة توليد الكهرباء إلى حوالي ٢٠٪ وذلك في بداية العام الماضي و هو ما يُؤكده خبراء الطاقة من خلال تلك الإحصائيات و الدراسات التى توضح أهمية و فوائد تشيد المحطات الشمسية .

خبراء الطاقة من خلال تلك الإحصائيات و الدراسات التى توضح أهمية و فوائد تشيد المحطات الشمسية.

فوائد تشييد المحطات الشمسية العائمة:

١ -التوفير في المساحة حيث يتم استغلال مسطح المياه دون إهدار في الأرض، و هذا الفكر مفيد جداً عندما تكون جهة التنفيذ لا تمتلك ارض

٢- تقليل البخر في المسطح المائي عند تغطية جزء منه بالألواح الشمسية. وهذه الفكرة مفيدة جدًا في دولنا

المشروع علي بحيرة السد العالي و الترع و نهر النيل للحفاظ علي الموارد المائية.
٣ -تقليل تكوين الطحالب و ورد النيل في الماء نتيجة عدم تعرض المياه للهواء الطلق، و كما هو معروف يقل تكوين هذه الكائنات حال تغطية المسطح المائي و عدم تعرضها لضوء الشمس المباشر لمنع التمثيل الضوئي Photosynthesisلهذه الكائنات، و قد قامت فعلا وزارة الري المصرية بتغطية عدد كبير من الترع و المصارف بواسطة مواسير للحفاظ علي نقاء المياه، و لكن مع فكرة المحطات الشمسية العائمة يُمكن استكمال هذه الخطة بفكر جديد يُحقق فوائد اقتصادية أخري و عائد استثماري.
٤ -زيادة كفاءة الألواح في الجو الحار نتيجة تلطيف المياه للحرارة الخلايا الشمسية، و من المعلوم ان الخلايا الشمسية تزيد من انتاجيتها للكهرباء عند درجات الحرارة المنخفضة. و هناك دراسة كورية تمت بهذا الصدد اثبتت ان المحطات الشمسية العائمة تتفوق علي مثيلتها بنسبة ١٠٪ في معدلات توليد الطاقة.
٥ -حماية المحطة من السرقات و التلفيات نتيجة وجودها في مكان يصعب الوصول اليه و لا تحتاج الي أسور و حراسات دائمة، و ذلك يؤدي الي التوفير في مصاريف اقامة المحطة و تكاليف التشغيل
٦- عدم الحاجة الي غسيل الالواح من الاتربة و البحث عن مصدر مياه للقيام بهذا الغرض حيث يقوم الماء بمهمة النظافة تلقائيًا. هذه الميزة أيضًا يقوم بتقليل المصاريف التشغيلية للمشروع.
سهولة و سرعة التنفيذ حيث لا تحتاج المحطات الشمسية العائمة إلي تنفيذ أعمال تجهيز الموقع و تسويته أو تنفيذ أسوار أو صب خراسانات أو حفر و ردم مسارات لمرور الكابلات.
شروط تنفيذ المحطات الشمسية العائمة:
١ -يجب اختيار موقع المحطات الشمسية العائمة في مكان غير معرض للأمواج العالية مثل البحيرات والأنهار .
٢- لا يُمكن تركيب هذا النظام في مسطحات المياه المالحة مثل البحيرات المرة حيث أن ضمان و مواصفات جميع الألواح الشمسية لا تشمل تُعرضها للأملاح
٣- لا يُمكن تركيب هذا النظام في المواقع التي تتعرض للجليد و تجمد المياه خلال فصل الشتاء. و هذا تعتبر اكبر عائق لنمو القطاع في الدول الأوروبية وأمريكا، أما بالنسبة للدول العربية فهذا العائم غير موجود إلا في حالات نادرة جداً.
٤- يجب إحكام عزل جميع مكونات المحطات الشمسية العائمة من تسرب المياه وعوامل التعرية والصدأ بما في ذلك الألواح الشمسية والوصلات و نظام التثبيت والكابلات.
فبرنامج المساعدة في إدارة قطاع الطاقة هو شراكة بين البنك الدولي و١٩ شريكاً لمساعدة البلدان المنخفضة والمتوسطة الدخل على الحد من الفقر وتعزيز النمو من خلال حلول الطاقة المستدامة. وتُدمَج الخدمات التحليلية والاستشارية التي يقدمها البرنامج بشكل كامل في حوار البنك الدولي مع البلدان المعنية بشأن التمويل والسياسات العامة. ويعمل البرنامج، من خلال مجموعة البنك الدولي، على تسريع عملية التحول في مجال الطاقة واللازمة لتحقيق الهدف ٧ للتنمية المستدامة بغية ضمان الحصول على الطاقة الحديثة المنتظمة والميسورة التكلفة للجميع. ويُساعد أيضًا على صياغة استراتيجيات وبرامج مجموعة البنك الدولي لتحقيق أهداف خطة عمل مجموعة البنك الدولي بشأن تغير المناخ.
لذلك من المتوقع أن تكون مصر واحدة من أسرع أسواق الطاقة المتجددة غير الكهرومائية نموًا بالمنطقة على مدار العشر سنوات المقبلة، بالإضافة إلى توقعها أن تعزز مصر من قدرتها التنافسية، وأن تصبح وجهة جاذبة للغاية للمستثمرين بمصادر الطاقة المتجددة، بفضل دعم الدولة المصرية القوي وإمكانات الطاقة الشمسية وطاقة الرياح الطبيعية.
لكن تبقى بعض التساؤلات المطروحة التى تحتاج إلى إجابة من خبراء الطاقة: هل سنتمكن من إيقاف التقدم في مجال الطاقات المتجددة بعد إنشاء محطات الهيدروجين الأخضر أم سيظل وجودها مستمرًا واستخدامنا لها ضروريًا، خاصة إذا كان أرخص من الطاقة الخضراء؟ وما السرعة التي سيتم بها توسيع الاستثمار في الطاقات الخضراء؟ وإلى أي مدى يجب زيادة وتيرة الاستثمار في الطاقات المتجددة في النظام العالمي من أجل الحد من التغيرات المناخية ذات العواقب الطبيعية الكارثية التي يحذر منها الخبراء؟.

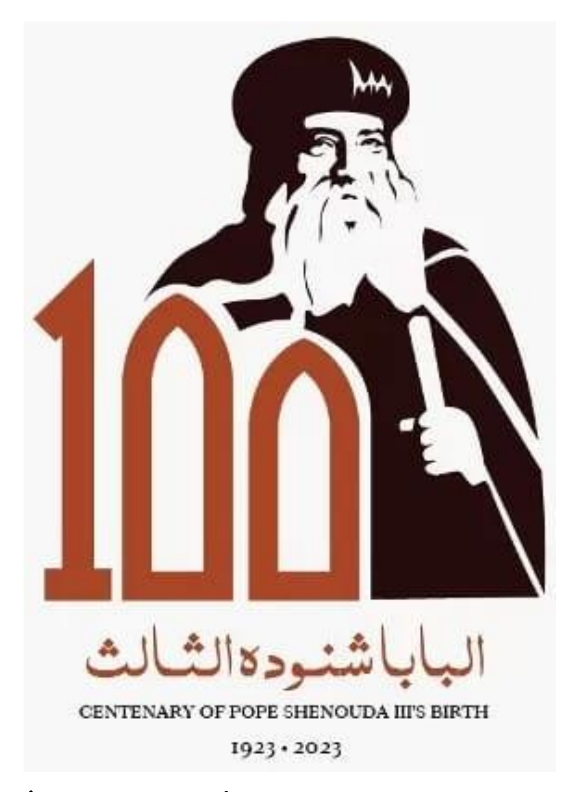


مئوية مثلث الرحمات
البابا شنودة الثالث بطريرك الوحدة الوطنية
١٩٢٣ - ٢٠١٢م

بقلم: د. سحر حسن أحمد

يُعد البابا شنودة من أبرز الرموز المصرية التى شكلت حقبة زمنية مهمة فى تاريخ مصر المعاصر، وكان فاعلاً فى كثير منها، وشاهداً على بعضها، ولعب دوراً كبيراً فى المجتمع المصرى، نظراً لمكانة الكنيسة القبطية باعتبارها كنيسة وطنية. ولذا احتفلت العديد من المؤسسات بمرور مائة عام على مولد مثلث الرحمات البابا شنودة الثالث بابا العرب وبطريرك الكرازة المرقسية وبابا الاسكندرية، وقد كان على رأسهم مركز الدراسات القبطية الأرثوذوكسية بالكاتدرائية المرقسية بالعباسية. ولا يسعني فى ذكرى ميلاده، إلا أن استعرض بعض المحطات المهمة فى مسيرته وسيرته، والتى ناهزت ٨٩ عاماً، إنساناً وشاعرًا ورجل دين جلس على رأس الكرسي البابوي فى مرحلة تاريخية فارقة من عمر الكنيسة المصرية شهدت خلالها إنجازات كبيرة خلال رحلة امتدت ٤٠ عامًا قادها إلى العالمية ليستحق بجدارة لقب معلم الأجيال وبابا العرب.

وقد أوضح البابا شنودة الثالث عما ينم به مكنون قلبه فى حب الوطن حين قال" مصر ليست وطنا نعيش فيه، بل وطن يعيش فينا، يعيش فى داخلنا، مصر هذه نحبها الحب كله ونحرص على سمعتها كل الحرص فى الداخل وفى الخارج أيضاً" وحين قال أيضاً " مصر هي بلدنا، وهي أُمّنا، وكل ما يَمَسّها يمسّنا " ونجد محبته الغامرة لهذا الوطن تنساب فتروي كل نفس بحُبّ عميق لهذا الوطن حينما يقول: " نحن مصريون، كل نقطة دم في جسدنا تؤمن بمصر وبالمواطنة المصرية "، فقداسة البابا هو ضمير وطني صادق، ورمزّ واعٍ من رموز الوطنيّة المصريّة .



ولعل هذه المقولات المهمة التى أطلقها قداسته تُعد من أصدق ما قيل فى حب الوطن والانتماء له. ومما لاشك فيه أن هذا يؤكد على أن قضية الوحدة الوطنية كانت من أهم القضايا التى شغلت قلب وعقل البابا منذ ريعان شبابه، ومع مرور الوقت تزايد انشغاله بها لأقصى درجة، وخاصة بعد اعتلاءه سُدة الكرازة المرقسية فى ١٤ نوفمبر ١٩٧١م، وأصبح الوئام الوطنى هو الشغل الشاغل له من أجل وحدة مصر.

فى البداية لابد أن نعرف البابا شنودة من هو ؟ وأين نشأ؟ وما هو الدور الذى قدمه قداسته من أجل تعزيز الوحدة الوطنية ؟

نشأة البابا شنودة الثالث

وُلد فى الثالث من أغسطس ١٩٢٣م ، بقرية سلام التابعة لمركز أبنوب بمحافظة أسيوط، وكان اسمه المدني هو نظير جيد روفائيل، وقد توفيت والدته بعد ولادته، وقام برعايته وتربيته شقيقه الأكبر روفائيل و اصطحبه معه فى مدينة دمنهور ثم الإسكندرية حيث كان يعمل، ثم عاد إلى أسيوط ثانية فى عام ١٩٣٤م، ومنها إلى مدينة بنها حيث حصل على الشهادة الابتدائية هناك عام ١٩٣٦م، إلى أن استقر فى مدينة القاهرة مع أخيه والتحق بمدرسة الإيمان الثانوية بحي شبرا، ثم بمدرسة راغب مرجان بمنطقة الفجالة وحصل على الثانوية العامة ١٩٤٣م، وكان نظير طالباً مميزاً يعشق القراءة والبحث وكتابة الشعر والأدب، والتحق بقسم التاريخ بكلية الآداب جامعة فؤاد الأول– جامعة القاهرة حالياً– وتخرج منها عام ١٩٤٧م، وأثناء دراسته بالجامعة التحق أيضاً بالكلية الإكليريكية (المدرسة اللاهوتية) وحصل على دبلوم الكلية الإكليريكية بعد تخرجه من كلية الآداب فى عام ١٩٤٩م، ولم يكتفِ بهذا بل اهتم بدارسة الآثار وأمضى عامين فى معهد الآثار، والتحق بالخدمة العسكرية ضابطًا من ضباط الاحتياط في سلاح المشاة سنة ١٩٤٧م، وقد تعلّم من العسكرية المصرية قيَم كثيرة منها: النظام والانضباط والصلابة. ثم خدم فى مدارس الأحد.

وقد كان نظير يشتاق لحياة الرهبنة وعبر عن ذلك بقوله " كنت أعيش في هذا العالم ناجحًا، ومع ذلك كان هناك اشتياق بقلبي لشيء ما لا تُشبعه أنشطة العالم"، ومن ثم تمت رهبنته فى دير السيدة مريم العذراء — دير السريان– بوادي النطرون باسم الراهب أنطونيوس السرياني عام ١٩٥٤م ، ثم تم ترسيمه أسقفاً للتعليم والمعاهد الدينية والتربية الكنسية فى عام ١٩٦٢م .

وفى عام ١٩٧١م، رحل البابا كيرلس السادس، وأجريت انتخابات البابا الجديد فى ٢٩ أكتوبر عامذاك، ثم القرعة الهيكلية فى ٣١ من ذات الشهر، وفاز فى كلاهما (البابا — البطريرك) البابا شنودة ، ومن ثم أصبح بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية بالقاهرة

وقد ظل طيلة ٤١ عاماً يعمل على نشر قيم التآخي والتعاون والتسامح وقبول الآخر والمحبة والمساواة ، إلى أن رحل عن عمر يُناهز ٨٩ عاماً فى ١٧ مارس ٢٠١٢م.

وكان شخصية بارزة في مصر والشرق الأوسط، وله دور مهم في تعزيز الوحدة الوطنية بين الأقباط والمسلمين في مصر. قاد البابا شنودة الكنيسة بحكمة خلال فترات عصيبة من تاريخ مصر، وشهد تطورات مهمة في السياسة والاجتماع في البلاد.

الوحدة الوطنية فى وجدان البابا شنودة الثالث

جاء في إحدى محاضرات قداسته عن الوحدة الوطنية قوله " إن الوحدة الوطنية في مصر حقيقة اجتماعية وتاريخية ثابتة ومستقرة وليس المساس بها إلا نوعًا من المغامرة تعود بالخسارة المؤكدة علي أصحابها ، إن وحدة الشعب مسألة مهمة يجب أن نعمل كلنا مع الرئيس للحفاظ عليها .. التفرقة ليست لصالح أحد ... الانقسام ليس لصالح أحد، يجب أن نذكر أن القصد الإلهي في الخليقة كان هو الوحدة، فالله خلق العالم كله من أسرة واحدة هي أدم وحواء ، وبعد الطوفان أعاد الله تكوين العالم من أسرة واحدة ... هكذا في العالم كله أبناء أدم (أب واحد) ونوح (أب واحد أيضا)، لقد عشنا في محبة .... ولن يستطيع أحد أن يفرق ما جمعه الله. أن مصر لا خوف عليها أبدًا، إنها – المحروسة – حقاً توحد شمالها وجنوبها منذ آلاف السنين وتناوب عليها الغزاة ولم تتعرض وحدتها للخطر، وحدة مصر والمصريين من أسرار هذا البلد الخالد، فلا خوف علي مصر ولا تشابه بينها وبين غيرها؛ فمصر تحمي وحدتها لأنها وحدة حصينة مهما كانت مصائب الفقر والجهل والتخلف، أن حفظ الوحدة الوطنية وتقويتها ليس واجب رجال الدين الإسلامي والمسيحي فقط ، بل يجب أن تتعاون فيه كل الهيئات الرسمية والشعبية علي حد سواء، بل كل فرد، وكل جماعة.

وكان البابا شنودة يرى أن الوحدة الوطنية تتمثل فى رؤيته للآخر، وقال ينبغي أن نتدرب على محبة الآخر. فالعلاقة مع الآخر كُلَّما ازدادت قُربًا، تتحوَّل إلى وحده.

وقال "أتذكر أنني سُئِلْت مرة عن الوحدة الوطنية

فقلت: يا أخي المواطن: حينما أنظر إلى نفسي فأراك، وأنظر إليك فأراني، وكأنني أنظر في مرآة، وكأننا روح واحد في جسدين، حينئذ تكون هذه هي الوحدة الوطنية ."

بيد أن عهده كان زاخراً بالمواقف الوطنية الداعمة لوطنيته السياسية، وقد تجسدت مواقف تعزيز الوحدة الوطنية بشكل إيجابي ووطني.

بعض المواقف الوطنية للبابا شنودة الثالث

حرب أكتوبر ١٩٧٣م

تعددت المواقف الوطنية لقداسة البابا في حرب أكتوبر ١٩٧٣م، حيث قام بزيارة الجبهة عده مرات قبل الحرب والتقى الجنود والقادة، فقد قام قداسته بعقد اجتماعاً مع الكهنة والجمعيات القبطية لحثهم على الإسهام في دعم المجهود الحربي وطلب من كل كنيسة وجمعية تقديم تقرير يومي له عما تقدمه. وشكل لجنة لجمع التبرعات ولجنة للإعلام الخارجي وقدمت الكنائس والجمعيات القبطية مبلغ ١٥ ألف جنيه، أوفد قداسته نيافة الأنبا صموئيل لتسليمها للسيد الدكتور عبد العزيز كامل وزير الأوقاف آنذاك، كما قامت الكنيسة بتقديم ١٠٠ ألف بطانية لوزارة الشؤون الاجتماعية، و٣٠ ألف جهاز نقل دم لوزارة الصحة. وأثناء الحرب كتب البابا العديد من المقالات الوطنية لدعم الوطن والقوات المسلحة منها، إننا نُدافع عن أراضينا ، دفاعاً عن الحق، أرض سيناء مقبرة للإسرائيليين ، الصهاينة أعداء المسيحية" وقد زار قداسته مدينة السويس الباسلة فى عام ١٩٧٤م، وقابل اللواء أحمد بدوي قائد الجيش الثالث الميداني وألقى كلمة تشجيع للجنود، كما زار مدينة السويس في عيدها القومي وحياهم على مواقفهم البطولية ثم زار مقابر الشهداء ووضع إكليلاً من الزهور على النصب التذكاري للشهداء.



كما قام بزيارة مدينة الإسماعيلية في ١١سبتمبر١٩٧٦م، وألقى كلمة تحية لشهداء حرب أكتوبر؛ وزار الجيش الثاني الميداني وتقابل مع اللواء فؤاد عزيز غالي قائد الجيش الثاني الميداني في ذلك الوقت، وزار النصب التذكاري للشهداء، ووضع إكليلاً من الزهور على النصب. ثم زار مدينة بورسعيد فى يوم ٩ أكتوبر١٩٧٦ م وعقد مؤتمر وطني كبير؛ حضره محافظ بور سعيد ومدير الأمن وفي اليوم التالي توجه قداسته مع السيد المحافظ لزيارة مقابر الشهداء ووضع أكليل من الزهور هناك.

ترسيخ أسس الوحدة الوطنية

يُبرز دور قداسة البابا شنودة الثالث في دعم قداسته الدائم للوحدة الوطنية والحفاظ على أمن وسلام بلادنا في العديد من المواقف والأحداث التي عَبَرت بها، فهو دائمًا كما يصفه الكثير من الوطنيين أنه " صمام أمان لهذا الوطن " وبأنه " رمزٌ واعٍ من رموز الوطنية المصرية". فبعد أحداث ١٨ و١٩ يناير ١٩٧٧م، دعا الرئيس الراحل أنور السادات القيادات الدينيّة من رجال الدين الإسلامي والمسيحي إلى الاجتماع به بالقصر الجمهوري بعابدين، وكان ذلك يوم ٨ فبراير ١٩٧٧م، وألقى قداسة البابا كلمة رائعة عن سماحة الإسلام، وعن الوحدة الوطنيّة،

وتضمنَّت أيضًا استنكارًا وشجبًا لحوادث الشغب والإيذاء والتخريب. ونقتبس منها بعض الفقرات ؛ إذ قال:

" يعز علينا في هذه الفترة الدقيقة أن تتعرض بلادنا للتخريب والإيذاء ويؤلم قلوبنا أن يكون هذا التخريب بأيدي بعض من أبنائها؛ إن التخريب ليس هو الوسيلة المعبرة عن الرأي؛ ولا هو الوسيلة الموصلة إلي الإصلاح".

كما قال : أود أن أقترح كناحية من تأكيد الوحدة الوطنية أن تكون هناك لجنة دائمة مشتركة بين رؤساء القادة الدينين في الإسلام والمسيحية؛ وأن تجتمع باستمرار ويُناقش ما بينها من أمور لأن المثل يقول "البعد جفوة " وأنا واثق أننا كلما التقينا كلما زدنا ترابطاً وتماسكاً وكلما فهمنا بعضنا البعض بأسلوب أوسع كلما كان هذا الأمر تأثيره علي أولادنا من المسلمين والمسيحين أفضل .

وعندما سُئل قداسة البابا عن الإرهاب، أجاب: بأن الأديان- كل الأديان- تدعو إلى الحب والتسامح، ولا يمكن أن يكون الإرهاب دعوة لأي دين من الأديان، وأن الظواهر الاجتماعية والاقتصادية والإنسانية التي تعيشها المجتمعات هي التي أفرزت هذا الواقع الغريب على البشر. وهذا يعني أنه على العالم أن يواجه مُشكلات الفقر والتخلُّف والمشاكل الاجتماعية والثقافية؛ فهو الطريق الصحيح لمواجهة العُنف والإرهاب .

عقب حرب ١٩٧٣ تزايدت أحداث العنف الطائفي في مصر، وتزايدت الأحداث المؤسفة التى وقعت خلال تلك الحقبة، وكان الشباب القبطي غاضبًا وثائرًا جداً، فعقد قداسته اجتماعه الأسبوعي يوم الجمعة ٢٥ أبريل ١٩٨٠م، فحاول تهدئتهم قائلاً " إنني مستعد أن أبذل حياتي من أجل أى واحد منكم كذلك أنا مستعد أن أبذل حياتي من أجل أى مسلم فى هذا البلد، فإن الحب الذى فينا لا يعرف تعصباً ولا تفريقاً فنحن أخوة فى هذا الوطن..". وفي يونية ١٩٨١م وقعت أحداث الفتنة الطائفية بالزاوية الحمراء، والتي تُعد ذروة الصدام مع تحديد إقامة البابا فى دير الأنبا بيشوى بوادي النطرون، من قبل الرئيس السادات وتم تشكيل لجنة بابوية لإدارة شؤون الكنيسة، عقب اعتقالات سبتمبر الشهيرة.

تولى الرئيس الراحل محمد حسني مبارك حكم مصر في ١٤ أكتوبر ١٩٨١م، حيث كان البابا شنودة محددة إقامته في دير الأنبا بيشوي في وادي النطرون ولم يتم الإفراج عنه إلا فى عام ١٩٨٥م، حيث أصدر الرئيس الراحل قرارًا بالإفراج عن المعتقلين السياسيين.

علاقة البابا شنودة الثالث ورجال الأزهر الشريف

حرص قداسة البابا دائماً أن تكون له علاقة طيبة مع أصحاب الفضيلة رجال الأزهر الشريف، وقد تعددت الزيارات المتبادلة فى عهد قداسته بين رجال الأزهر الشريف وكبار رجال الكنيسة وعلى رأسهم قداسته .. وقد جمعت صداقة وطيدة بين قداسته والشيخ محمد سيد طنطاوي، وعندما توفى الشيخ سيد طنطاوي أرسل قداسة البابا برقية لمشيخة الأزهر وقال عنه فيها : "كانت له فى قلبي محبة عميقة وكنت أعتبره أخاً لي وصديقاً، وكنا نتفق معاً فى كثير من الآراء والمواقف". ويؤكد هذا حديث فضيلة الشيخ طنطاوي: "إننا فى مصر نعيش أخوة متحابين منذ مئات السنين، نعيش فوق أرض واحدة، وسماء واحدة، مزارعنا متجاورة ، مساكننا متجاورة، ومقابرنا متجاورة . نتبادل التهاني فى الأعياد والمناسبات الدينية، وتربطنا رابطة أخوية صادقة إلى أن قال ...... لكننا كرجال دين نفهم ديننا فهماً سليماً، نتعاون، نتقارب، نتحاب، نتواصل" وأشار فضيلته إلى قداسة البابا موضحاً أن أخيه وصديقه قداسة البابا يعلم علم اليقين أنه تربطهما محبة خالصة لوجه الله ، لأن الأديان السماوية تجمع ولا تفرق، وتعمر ولا تخرب، وتصلح ولا تفسد . فهذه الوحدة الوطنية الموجودة فى مصر .

عقب قداسة البابا على كلام فضيلة المفتي بطرحه مبادرة قام بها قداسته وتعتبر بتجربة وخبرة كبيرة اختبرها قداسته مع الكنيسة القبطية، وقد بدأت الكنيسة منذ سنوات طويلة بإقامة حفلات إفطار رمضانية تقام فى الكاتدرائية الكبرى بمصر وبحضور كبار رجال الدولة ورجال الدين وكبار المؤسسات كلها .

ومن هنا بدأت تنتقل هذه الخبرة من البطريركية لسائر الكنائس وسائر المحافظات، وحتى خارج مصر فى الدول

العربية والأوربية بحيث أصبحت شبه تقليد ثابت يحتفل الأقباط فى شهر رمضان بأن يأكلوا مع أخوتهم المسلمين طعاماً واحداً. كما يحضر قداسته أيضاً حفلات رمضان التى تقيمها الدولة ووزارة الأوقاف لدرجة أنه فى أحد أعياد القيامة كان يحضر حفلاً رمضانياً ويفطر مع الأخوة المسلمين وليس مع باقي المسيحيين ، ونجحت هذه المبادرة.

وتأثر قداسته أيضاً كثيراً لوفاة الشيخ الشعراوي فى يونيه ١٩٩٨م، وقال قداسته : " الله وحده يعلم كم تأثرت بوفاته ... لقد كان عالماً كبيراً وفقيهاً فى اللغة ... وكان محبوباً من شعبه وكانت صداقتنا تُسعد الملايين من المسلمين والمسيحيين.

البابا شنودة الثالث والقضية الفلسطينية

لم تكن وطنية قداسة البابا تجاه الوطن فقط بل تعدت هذا إلى الوطن العربى أيضاً، وكان من أهمها موقفه الوطني تجاه القضية الفلسطينية ، وقد تجسد هذا فى كلمات قداسته ومبادئه تجاه القضية الفلسطينية :" لا للاحتلال، لا للتهويد، لا للتدويل" كما ذكر أن " تدويل القدس معناه التنازل عن عروبتها ، ونحن نؤمن بعروبة القدس"، وأكد فى حديثه على رفض ما يحدث فى القدس حين قال "لن ندخل القدس إلا وأيدينا فى أيدى إخواننا المسلمين"، ومنع زيارة الأقباط للقدس رغم كل المعارضة من اتجاهات متعددة حتى لقبه العرب بـ "بابا العرب" نظرًا لمواقفه الوطنية. كما حظر البابا شنودة تماماً على المسيحيين زيارة القدس طالما ظلت تحت الاحتلال الإسرائيلي، ولم تنتقل سيادتها إلى الفلسطينيين الذين يطالبون بالقدس الشرقية عاصمة لدولتهم المستقبلية".

وأعلن البابا شنودة الثالث موقفه كاملاً من مقاومة الكيان الإسرائيلي وقال : إن إسرائيل ليست شعب الله المختار، وأكد أن فكرة شعب الله المختار كانت لفترة معينة شعب الله المختار، وأن اليهود جاءوا إلى فلسطين بوعد من بلفور، وليس بوعد من الله. وقال: "دائمًا أنظر للقدس كقضية قومية كبيرة، ليست خاصة بإجراء فردي من الأقباط، بمعنى أننا لا نستطيع أن نتخلف عن إخواننا، ولا نستطيع أن نتخلى عن إخواننا الفلسطينيين أيًا كانت الدوافع، والمسألة أكبر من العلاقة بين الأقباط وإسرائيل . "

وعندما تم تحديد إقامة الرئيس الراحل ياسرعرفات ٢٠٠٢م عقد البابا شنودة مؤتمراً شعبياً كبيراً فى الكاتدرائية المرقسية للدفاع ولدعم القضة الفلسطينية والقضايا العربية وجعل هذا الموقف محل احترام وثقة من الرئيس الفلسطينى الراحل عرفات الذى كان يزوره فى العباسية كلما جاء إلى القاهرة.

كما حذّر قداسته من الانقسام العربي والتفكُّك العربي، وقال:" الانقسام العربي يُشكِّل حاجزًا ضدّ تكوين أي رأي موحّد تجاه فلسطين"، كما أضاف بأن:" تفكُّكنا العربي أخطر من شارون "، ودعى قداسته إلى:" موقف عربي موحَّد لمجابهة إسرائيل".وعبَّر قداسته عن أهمية العمل الموحد بين العرب فقال:" نحن لا نستطيع أن ننقذ فلسطين بالكلام ولا بالخُطب ولا بالشجب، إنّما ينبغي منّا عمل عربي قومي موحَّد حاسم، لقدسمعوا منا كلامًا كثيرًا ولم يَروا عملاً."

نال البابا شنودة احترام المصريين والعالم، وذلك لمواقفه التاريخية وحرصه على وجود علاقة طيبة مع باقى الطوائف المسيحية المختلفة والمسلمين أيضًا، ولذلك لم يكن مشهد الرحيل والوداع إلا بصورة تليق برجل من طراز فريد جمع خصائص استثنائية قدسه بسببها الأقباط وأحبه المسلمين بسبب مواقفه. فسر مشهد الوداع التاريخى للبابا وتوافد عشرات الآلاف من رعايا الكنيسة والمسلمين الذين احتشدوا على مدى ثلاثة أيام فى الكاتدرائية المرقسية بالعباسية وحولها لإلقاء نظرة الوداع على البابا الذى وافته المنية فى ١٧ مارس ٢٠١٢، حالة الاحترام والتقدير لقداسته يوم وداعه.

حوار مع السيدة/ آربي جانيكيان عازفة البيانو المصرية الأرمنية

أجرى الحوار: عطا درغام

السيدة آربي جانيكيان مصرية من أصل أرمني، من مواليد القاهرة عام ١٩٦٨م . مهندسة معمارية خريجة جامعة عين شمس. بدأت دراستها الموسيقية باكرًا، وأتمت المرحلة الإعدادية بمعهد الكونسرفتوار المصرية عام ١٩٨٣ بمجموع ٩٨٪ فى البيانو، ومجموع ٩٩٪ فى الصولفيج، ثم أكملت دراستها فى نظريات الموسيقى والبيانو مع كلية ترنيتي للموسيقى بلندن حيث حصلت على درجة الزمالة (Fellowship) فى مايو ١٩٩٧.

حازت على عدة جوائز أولى فى عزف البيانو على مستوى كليات جامعة عين شمس وكذلك الجائزة الأولى على مستوى كل الجامعات المصرية عام ١٩٨٩. ومنذ سنة ١٩٩١ قامت بعزف الأرغن و البيانو فى عدة كنائس أبرزها كنيسة الأرمن الأرثوذكس وكاتدرائية جميع القديسين بالزمالك، وكذلك الغناء الفردي بكنيسة الأرمن. قامت بالمصاحبة على البيانو، وكذلك العزف الفردي فى كثير من المناسبات الخيرية. وقامت بتأليف مقطوعات موسيقية عديدة، و كذلك تلحين وتوزيع أغاني لكبار شعراء الأرمن الكلاسيكيين وأدائها ونشرها على الإنترنت، وأيضا ألفت أغاني للأطفال وقامت بتلحين عدة ترانيم لكورال أطفال كنيسة العذراء بأرض الجولف، و تم عزف مؤلفتها (Joy) عالميًا فى الكنائس فى يوم الصلاة العالمي عام ٢٠١٤.

قداس كوميتاس ذات العدة أصوات قامت بإعادة كتابتها لليدين لتسهيل عزفها على الأرغن، وقامت بعزفها و تسجيلها بعدة آلات باستخدام الحاسب الآلي.

قامت بتوزيع الكثير من الترانيم و الألحان الكنيسة الأرمنية التراثية وعزفها و تسجيلها بعدة آلات و قد تم أداء



السيدة/ أربي جانيكيان

العديد منها فى الاحتفال بالذكرى الـ ٨٥٠ للقديس نرسيس شنورهالى التى أقامتها كاثوليكوسية الأرمن لبيت كيليكيا فى لبنان عام ٢٠٢٣. وكان لمجلة آريك حوار معها حول تجربتها الفنية وتاريخها الفني.

بدايتك الفنية كانت منذ الطفولة.. فحدثينا عنها؟

كانت أمي تعزف على البيانو، وأنا أنبهر بجمال العزف و أتفاعل مع الأنغام وأحاول تقليدها، فبدأت أمي تدرس لي قواعد البيانو والنوت ، فقد كانت معلمتي الأولى .وبدأت العزف فعليًا في سن السابعة .

ما هي الجذور التي جعلت منك موسيقية؟

كثير من أفراد عائلتي سواء من ناحية الأب أو الأم كان لهم علاقة وطيدة بالموسيقى. فجدتي كانت تمتلك صوتًا جميلًا وكانت تمتع الجميع بغنائها رغم تقدمها بالسن، و خالتي خريجة كنسر فتوار نيو إنجلاند بأمريكا وعمتي خريجة الرويال أكاديمي للموسيقى.

من اكتشف فيك الموهبة الموسيقية؟

إلي جانب أمي، يعود الفضل إلي معلمتي الأولي (مدام راشيل صليب) التي رأت أنني موهوبة جدًا، وشجعتني علي الالتحاق بمعهد الكونسرفتوار، وبالفعل التحقت بعد اجتيازي جميع الاختبارات من المرة الأولي، والتحقت كطالبة غير نظامية فى سن الثامنة.

من هو معلمك الموسيقي؟ و من ملهمك الأول؟ من هم معلموك والذين تركوا تأثيرهم فيك..؟

ليس واحدًا بل معلمين، أذكر بالترتيب راشيل صليب، ثم سعاد سليم ، ثم من ثالث سنة مدام نقارت داماديان التى كانت لها التأثير الأقوى فى تكويني الموسيقية، كما درست لمدة عام مع البروفيسور الروسى ديميدوف وعام أخر مع المؤلف الإنجليزي بريان كيلي. أما بالنسبة للنظريات الموسيقية والهارمونى فكانت عن طريق كلية ترنيتي للموسيقى وكانت تمثلها فى مصر السيدة هايدي جميل، كما درست مع موسيقيين مشهورين آخرين. كذلك ساعدني كثيرا القراءة والدراسة الشخصية ، خصوصًا الكتب الأجنبية في العزف والتأليف ومجالات أخرى في الموسيقي.

في أي الأوقات تجدين نفسك مستعدة للعزف؟

أعشق العزف، ودائمًا أبحث عن مناسبات أعزف فيها بعض القطع الموسيقية كعمل خيري، فأنا أحب أن أنشر جوًا من البهجة بين الناس. أقوم بعزف البيانو دوريًا فى البطريركية و فى دار المسنين الأرمن، وأيضًا فى النوادي الاجتماعية الأرمنية وغيرها.

لماذا اخترت البيانو عن سواه من الآلات الموسيقية ؟ وما الذي يتميز به البيانو...؟

لم أختر البيانو؛ فالبيانو هي من اختارتني. كانت موجودة بالمنزل و والدتي كانت تعزف عليها. أما ما يميز البيانو عن غيره من الآلات الموسيقية، فالبيانو سهل العزف فى البداية، حيث إن جميع النوت أمامك وسهل التعرف عليهم، ولكنها تتعقد بعض الشيء عندما تتقدم فيها وتحتاج التعامل مع سطرين للموسيقى فى مفتاحين مختلفتين فى آن واحد و بأصوات متعددة. ومن سمات البيانو أن صوت النوتة لا يدوم طويلاً و يتم التحكم فى درجة قوة الصوت عن طريق العزف المباشر بأصابع اليدين، بينما نطاق الصوت كبير جدا، وتستخدم أيضا لاصطحاب المغنيين وآلات أخرى، ولذلك تدرس فى المعاهد الموسيقية كآلة ثانية إجبارية عند تعلم أى آلة موسيقية أخرى. فى المقابل من الصعب عزف الكثير من المقطوعات الشرقية التى فيها ربع تون على البيانو.

وما الشيء الذى تحتفظ به ذاكرتك عن أول حفل رسمي لك؟

من أوائل الحفلات التى شاركت فيها كانت في الاحتفالات السنوية في فندق النيل هيلتون بمناسبة بازار السفارات الخيرى قبيل رأس السنة؛ فكنت أعزف ألحان الكريسماس لنشر بهجة الأعياد بين الجمهور.

ما الجوائز التي حصلت عليها خلال مسيرتك الموسيقية..؟

حصلت على عدة جوائز، وحصلت علي الجائزة الأولى فى عزف البيانو على مستوى كليات جامعة عين شمس وكذلك الجائزة الأولى على مستوى كل الجامعات المصرية عام ١٩٨٩.

ما أكثر المؤلفات التى تحبين تكرار عزفها؟

أنا شغوفة بشوبان، وهو من العصر الرومانتيكي، ومعظم مؤلفاته لآلة البيانو.

ما علاقتك بالموسيقي الشرقية . وما المقطوعات الشرقية التي تحبين عزفها؟

من صغري وأنا أعشق الموسيقي والأغاني الأرمنية باعتبارها أغاني شرقية سواء أكانت كلاسيكية أو شعبية، وهي أكبر ملهمة لي في مؤلفاتي الموسيقية وأعزفها فى مختلف المناسبات، و من الموسيقى العربية أعشق أغاني فيروز، لا سيما ألحان الأخوين رحباني، و كذلك مؤلفات عمر خيرت و سيد درويش، وقد سبق أن عزفت بعض أغانيهم. أما أغاني عبد الحليم و أم كلثوم فلا أستطيع عزفها على البيانو لأن الكثير منها تحتوى على ربع تون بينما أصغر تون متاح على البيانو فقط نصف تون. أحب الاستماع أحيانًا الأغاني العربية القديمة مثل عبد الوهاب و عبد الحليم و أم كلثوم وفريد الأطرش بالإضافة إلى الأغاني الشبابية الحديثة و أستمتع بها.

وما علاقتك بالسوشيال ميديا؟

لي قناة علي اليوتيوب أقوم برفع أعمالي عليها، وكذا أرفع علي قناة أخي.

ما رأيك بالاقتباس؟ وهل تعتبرين أن الاقتباس سرقة فنية أم أن الموسيقى فضاء مشحون لا جدران تحده ؟

أري أن الإلهام من قطعة موسيقية أخري في حدود القانون من لحن أو فكرة استخدمها فنان آخر يُلهمك علي الإبداع وإنتاج شيء جديد، وليس مجرد نسخ فهذا ليس إبداعًا.

يقول الأستاذ أحمد بهاء الدين " ما دامت الموسيقى تصويراً للحياة الانسانية فإننا لا يمكن أن نفهمها إلا إذا وضعناها في سياق العصر الذي أنتجها وظروفه السياسية والاجتماعية " ما رأيك بهذا الحديث ؟

أوافق على ذلك وأُضيف إلي ما قاله : أن الموسيقي تتأثر أيضا بظروف المؤلف الشخصية و حالته النفسية وأحاسيسه.

فى نظرك ما الفرق بين الموسيقى فى الماضي والموسيقى الآن؟

كلما تطور العصر وتقدم الوقت ،كلما ظهرت أنواعٌ جديدة من الموسيقي بما فيها الجيد والسيء. أقدم موسيقى كنسية ترجع إلى العصور الوسطى، لا تعرف الإيقاع ولا الميزان وإنما تعتمد عادة على وحدات متصلة من النغمات لا تدخلها التوزيع الموسيقى. أما الإيقاع البنائي فهو شرقى أصيل والإيقاع يساعد على خلق الموسيقى محدودة الزمن ويؤدى مباشرة إلى نظام المازورة وهذا أهم تراث موسيقى قدمه العرب لأوربا. وجميع الآت الموسيقى الغربية مصدرها الشرق. قديمًا كانت الموسيقى بسيطة جدًا وكانت توجد مسافات موسيقية غير مقبولة وتعتبر نشازًا، ولكن مع مرور الوقت أصبحت مقبولة ولها جمهورها، وظهرت إيقاعات وتآلفات ومسافات جديدة، وتعتبر حاليًا التآلفات والمسافات الجديدة مثل البهارات التى تعطى مذاقا خاصا للموسيقى.

ما الذى يلزم المُوسِيقي حتى يظل محافظاً على نجاحه؟

لابد أن يُخاطب وجدان الناس، ويكون منبعثًا من وجدان المؤلف وصادقة ومدروسة، ولابد من توافر المادة اللحنية الجميلة وإيقاعه الجذاب والهارموني الجميل والجيد، وأن تحتوي علي التجديد والتنوع كي لا يمل المستمع، وتعتمد ما سبق علي موهبة المؤلف وكذلك مهم دور العازف.

متي يتوقف الإبداع الموسيقي عند الفنان..؟

عندما يتوقف الإحساس والتفكير عند الفنان. لابد من التشجيع والنقد البناء حتى يستمر الفنان فى العطاء وكذلك بالنسبة للأطفال و الصغار لابد من تشجيعهم دائما حتى لا نقتل فيهم روح الإبداع.

هل من الممكن علاج الإنسان بالموسيقى؟ و كيف..؟

العلاج بالموسيقي قديم جدًا منذ عصر المصرين القدماء، فكان للمعالجين مكانة خاصة بعلاقتهم بالكهنة والشخصيات الرفيعة في الحكومة، وأكد المعالجون علي أن الموسيقي دواء للروح. وفي العصر الإسلامي كانت هناك العديد من المستشفيات مثل مستشفى (قلاوون)، وكان هناك متخصصون في علاج الحزن الشديد؛ إذ يتم فصل المرضي في غرف منفصلة ليستمعوا إلي الموسيقى.

المريض من الممكن أن يغني أو يعزف أو يكتب أو يتكلم عن موسيقى سمعه، والموسيقى يساعد فى تعافى الناس في كل الأعمار، ويشمل ذلك الذهن والمشاعر والجسد، فتجعله اجتماعيًا ويتفاعل مع الناس. ويساعد في تعديل المزاج وتقويم الشخصية وعلاج الأوجاع، وكذا تساعد الموسيقي في نمو الأطفال في التعلم والأحاسيس. وقد اهتمت جامعة القاهرة بالعلاج بالموسيقي، إذ افتتحت مركزًا لذلك في عام ٢٠١٩، هذا بالإضافة إلي اهتمام وزارة الصحة المصرية بإرسال الدارسين إلي الخارج للحصول علي مهارات جديدة في العلاج، وخصوصًا العلاج بالموسيقي. وقد أُجريت دراسات وتجارب علي دور الموسيقي في العلاج؛ فأظهرت على سبيل المثال أن الاستماع إلي الموسيقي الهادئة تساعد علي ارتخاء الأعصاب وتقليل ضغط الدم كموسيقى الأطلال لأم كلثوم، ومن ناحية أخري فالموسيقي الصاخبة تعمل علي رفع ضغط الدم. وأيضا تعمل الموسيقي علي تقليل العنف وعلاج الإدمان وتعمل علي الاتصال الاجتماعي وتنمية الذكاء وتقليل ضربات القلب.

من وجهة نظرك ما سر استمرارية الفنانين القدامى وأغنياتهم؟

لأنهم كانوا يخاطبون الشعب و ألحانهم رفيعة المستوى و مدروسة جيدا وتخاطب وجدان و عقول الناس

ووطنيتهم، فكانت تواكب الأحداث السياسية و الاجتماعية. والأغاني الكلاسيكية المدروسة رفيعة المستوى نستمع اليها بلا ملل، بينما أغاني أخرى تظهر حسب الموضة فنسمعها لفترة ثم تختفى لافتقادها للميزات التي تجعلها خالدة.

ما أقرب موسيقى بالنسبة لك؟

الموسيقي الأرمنية والموسيقي الكلاسيكية.

هل ترين أن الجمهور اليوم لديه نفس الشغف لمتابعة الموسيقى الكلاسيكية كما كان فى زمن الماضي؟

في الماضي كان الشغف أكثر، أما هذه الأيام فقل كثيرًا.

هل دور العازف يأتي من إحساسه بترجمة النص الموسيقى؟

لا بد أن يشعر بمقطوعته ويفهمها جيدًا، وهذا أكيد.

ما العلاقة التى تجمع العازف بقائد الأوركسترا ؟

قائد الأوركسترا هو القائد، وهو الذي يختار العازفين، ويعمل على حفاظ توازن الأصوات أو الآلات، وهو الذى يوصل ملامح العمل حسب رؤيته للعازفين عن طريق حركات عصاه أو يديه، وكل عازف لابد أن يستمع إلى بقية زملاءه إلى جانب تتبعه لحركات قائد الأوركسترا ليتجانس العمل .

بمناسبة مئوية سيد درويش ..ماذا قدم سيد درويش للموسيقي العربية..؟

سيد درويش هو مُجدد الموسيقى العربية، وباعث النهضة الموسيقية في الوطن العربي، ولُقب بفنان الشعب وأبو الموسيقي الشعبية المصرية، وأبو الموسيقي العربية الحديثة. ألف العشرات من الأدوار وأكثر من ٤٠ موشحًا و١٠٠ طقطوقة، و٣٠ رواية مسرحية وأوبريت وأهازيج وأناشيد و مونولوجات ..وكان قد أصبح قياس المعرفة الموسيقية هو حفظ ألحان و مؤلفات الشيخ سيد درويش ؛ فهو مؤلف النشيد الوطني المصري "بلادي بلادي" وهو من أوجد نغمة الزنجران، وعمل علي تحديث الموسيقي العربية ، وأدخل طُرُقًا جديدة علي الأوركسترا، وأيضًا تخلت عن النمط البطيء المتكرر إلي نمطاً جديداً.

ألحانه و أوبريتاته للعزف علي البيانو لأنه لا توجد فيها ربع تون، ويظهر التأثير الإيطالي على أعمال سيد درويش بسبب انبهاره بالأوبرا الإيطالية؛ فجاءت أوبريتاته خفيفة، والآن تعتبر جزءًا من الفلكلور المصري مثل :

(زوروني كل سنة مرة ، والحلوة دي)وغناها المطربون والمطربات أمثال فيروز وصباح فخري، وكذلك حفيده إيمان البحر درويش الذي عمل علي إحياء تراثه.

رغم مرور مائة عام علي وفاة سيد درويش .لماذا الاهتمام به بعد كل هذه الفترة؟

لأنه أثري الموسيقي العربية، واستخدم فنه في الجهاد الوطني ضد الإنجليز؛ فكانت تُلهب الشعور الوطني، فغني للشعب ونقد سلبيات المجتمع المصري، وكانت موسيقاه تخاطب جميع الأعمار والمستويات الاجتماعية. وشيدت له التماثيل وصدر طابع بريد تخليدًا لذكراه وتم إنشاء مسرح يحمل اسمه ، وكذا معهد سيد درويش للموسيقي، وعند وفاته عاد سعد زغلول من المنفي وغني المصريون أغنيته الجديدة (مصرنا وطننا سعدنا أملنا) التي ألف موسيقاها.. وأود أن أذكر هنا دور شركة ميشان الأرمني التي كانت واحدة من ثلاث شركات أسطوانات كانت تتولي تسجيل أسطوانات سيد درويش.

من الذي يستهويك عزفه من عازفي البيانو المصريين...؟ ولماذا؟

رمزي يسي، فهو عالمي ومشهور وقدير، وعزفه جميل ورائع ومتميز، وعمر خيرت عندما يعزف مؤلفاته الرائعة مع الأوركسترا.

من في رأيك استطاع أن يعبر عن الروح المصرية في موسيقاه..؟

لا أستطيع تحديد اسم بعينه؛ فهناك كثيرون سواء مطربون أو مؤلفون أو عازفون، وهناك أسماء كثيرة لا أريد أن أحدد أسماء معينة.



كيف تستطيع الموسيقي المصرية الحفاظ علي هويتنا المصرية..؟

الموسيقي المصرية سواء عربية أو قبطية جزء مهم للحفاظ علي الهوية المصرية، فكلمات الأغاني تعبر عن حياتنا ووطنيتنا وحبنا لمصر. والمشاعر في الموسيقي تعبر عن إحساسنا بالوطن، فالموسيقي تحرك المشاعر و مهمة للشعور بالوطنية.

ضعي روشتة موجزة للارتقاء بالفن المصرى؟

منذ عدة سنوات أفكر فى تجديد ألحان عربية و مصرية عن طريق تحويلها من أحادي الصوت إلى متعددة الأصوات. فالأغاني فى الكورالات ليس بها هارمونى لأنها تحتوى على ربع تون ففكرت بطريقة لتحويل أغاني الكورال إلى متعددة الأصوات وأرغب أن أحقق هذا العمل.

ما سبب سيطرة بعض الأغاني الهابطة التى انتشرت مؤخرًا على الساحة؟

تنتشر بسبب ضغوط الحياة والمشكلات التي تؤثر علي الإنسان، فيبحث عن شيء يتسلى به أو شيء يبعث فيه السعادة، فهو لا يريد أن يتعمق في الموسيقي ويعيش فيها ويفهمها، فيهرب إلي شيء ينسيه همومه.

كيف تحافظ مصر على ريادتها الموسيقية؟

بالتجديد في الكورال والعمل علي تعدد الأصوات و ظهور أفكار جديدة، والاستفادة من تجارب الموسيقات الأجنبية و تشجيع المواهب الجديدة. ومهم جدًا أن يطبقوا الموسيقي كمادة أساسية تدرس للطلبة في المدارس والجامعات للارتقاء بالذوق العام للطالب وتكون لها درجات أساسية، والعمل علي استقطاب موسيقيين عالميين إلي مصر لنتعلم منهم، وتنظيم المسابقات الدولية فى مصر ومنح الجوائز للموسيقيين سواء من داخل مصر أو خارجها .

ما رأيك فى موسيقى المهرجانات؟

الموسيقي مثل الطب والهندسة فيها درجات علمية مثل الماجستير والدكتوراه، وهدفها الارتقاء بذوق الناس والحضارة. وهناك وظائف للموسيقي مثل ما نجده فى موسيقي الأفلام: فهناك موسيقي تبعث الحماس وأخري مشاعر الحب أو الخوف أو الفرحة أو الحزن وهناك الموسيقي الروحية وموسيقي التعبد وأيضا هناك موسيقي توقظ بعض الغرائز أو أخرى تحدث الضوضاء. وأنا أحب الموسيقي المدروسة العالية المستوي، و يمكن تشبيه الموسيقى بفن العمارة: فقد تكون مثل عمارة تراثية جميلة متينة أو قد تكون مثل العشوائيات.. وفي النهاية فأنا أري أن موسيقي المهرجانات لا ترتقي بمستوي الشعب المصري وقد لا تليق به في بعض الأحيان.

ما العلاقة التي تربط بينك وبين الموسيقي الأرمنية.؟

العلاقة بيني وبين الموسيقى الأرمنية وثيقة جدًا.

فمنذ صغرى وأنا أغنى الأغاني الأرمنية فى كورال المدرسة الأرمنية وكورالات الجالية الأخرى، وكذلك أعزف بعض القطع منها أو أُغنيها كغناء منفرد سواء فى الكنيسة

الأرمنية أوفى مناسبات أخرى، وكنت أيضًا أرقص على ألحان الموسيقى الأرمنية فى فرقة الرقص الشعبي الأرمنى التابع لأحدى النوادي الأرمنية بالقاهرة. و أستمع إلى الأغاني الأرمنية من البرنامج الأرمنى للإذاعة المصرية ومن أسطوانات و تسجيلات مختلفة، وكذلك كل مؤلفاتي عن الموسيقى الأرمنية.

هل تتابعين التطورات الحديثة في الموسيقي الأرمنية؟

نعم، أتابع التطورات الحديثة.

ما الفرق بين الموسيقي العربية والموسيقي الأرمنية..؟

تتمسك الموسيقى العربية بالمبدأ الأفقي؛ أى أنها لحنية لا تدخلها الهارمونى المبنية على التآلفات الرأسية، فتميل الموسيقى العربية إلى الموسيقى الغنائية أكثر من ميلها إلى موسيقى الآلات، ونلاحظ أن أغلب اللحن فيها زخرفة، أما الموسيقى الأرمنية فتتمتع بقدرتها على تعدد الأصوات مثل الهارمونى و البوليفونى. المقامات فى الموسيقى العربية هى: صبا، و نهاوند، و عجم، و بياتي، وسيكاه، و حجاز، و راست . وتتفرع من هذه المقامات الأساسية مقامات أخرى تصل إلى حوالى ٢٥٠ مقام. والبعد الواحد فى الموسيقى العربية مقسمة إلى أربعة (أى ربع تون) على عكس الموسيقى الأرمنية والغربية حيث البعد الواحد مقسمة إلى اثنين (أى نصف تون). بينما هناك ثمانية مقامات وفروعها فى الموسيقى الأرمنية . وبعض الآلات الشرقية المستعملة فى الموسيقى العربية نجدها أيضًا فى الموسيقى الأرمنية مثل القانون و العود والكمان والدهول والطبل. وكانت الموسيقى الأرمنية تُكتب قديمًا عن طريق علامات خاصة مدونة فوق النص الغنائى و تسمى "خاز" يعلم المؤدى عن طريقها درجات نغمة الصوت و طول مدتها.



هل استطاعت الموسيقي أن تعبر عن مأساة الأرمن..؟ وكيف استطاعت؟

كل الأغاني الأرمنية بها نبرة حزن، وفيها أغاني تتناول المذابح الأرمنية وتتحدث عنها. وهناك موسيقيون أرمن تأثروا كثيرًا بالمذبحة ومنهم كوميتاس، وبل أغاني أرمنية كثيرة لآخرين تناولت المذابح والإبادة الأرمنية وأحلام و تطلعات الأرمن. وتظهر نبرة الحزن عند الأرمن لأن تاريخهم شهد مذابح وحروب وتهجير، وشبهت الأغاني مصير تهجير الأرمن بطيور مهاجرة وعبرت عن أحلامهم بالرجوع إلى وطنهم المسلوب و إعادة بناء بيوتهم. وعبرت الموسيقي و الأغاني الجديدة الأرمنية عما تعرض له الأرمن في آرتساخ (كاراباخ) علي يد الآذريين.

مَن من الموسيقيين الأرمن الذي استطاع أن يعبر عن مأساة الأرمن في موسيقاه، وتركت تأثيرًا في الأرمن..؟

جوميداس (أبو الموسيقي الشعبية الأرمنية)، الذي عمل علي وجود موسيقي أرمنية نقية، وجمع الموسيقي الأرمنية الشعبية من كل مناطق وقرى أرمينيا قبل الإبادة الجماعية وتهجير الأرمن من وطنهم عام ١٩١٥ ونقاها و حولها إلى متعددة الأصوات (بوليفونية) و يُزيد عددها عن ألفي أغنية، كما عمل على الموسيقى الكنسية و طور قُداسًا للكنيسة الأرمنية، وتتميز موسيقاه بأنها رفيعة المستوى وتأثر جوميداس كثيرًا بأحداث الإبادة الأرمنية.



مئوية رحيل فنان الشعب خالد الذكر
سيد درويش
١٩٢٣ - ٢٠٢٣

بقلم: أشرقت محمد رفعت
كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة

في حوالي منتصف سبتمبر ١٩٢٣ ، سافر سيد درويش من القاهرة الى الإسكندرية ليكون في استقبال زعيم الأمة سعد زغلول العائد من المنفى، وليحفظ طلاب وطالبات المدارس النشيد الذى لحنه استقبالاً لسعد زغلول ولكنه أصيب بنوبة قلبية مساء ١٤ سبتمبر وفى فجر ١٥ سبتمبر ١٩٢٣ وافته المنية في بيت شقيقته، وفى وسط الاحتفالات الشعبية والمهرجانات الوطنية المقامة في الإسكندرية لاستقبال سعد زغلول، لم يشعر أحد بوفاة أعظم عبقرية مصرية ظهرت في النصف الأول من القرن العشرين، وقد شيعت جنازته في تواضع شديد بحضور عدد قليل جدًا من أهله وأصدقائه .

وكاد تراث سيد درويش الموسيقى يندثر ويتلاشى بعد أن أحجمت معظم شركات الأسطوانات عن التعامل معه خوفًا من نفوذ الانجليز وبطش القصر لولا أن الأرمني سيتراك ميشيان بإبرام عقد مع الشيخ سيد درويش وسجل له قطعًا ليست بالقليل من أعماله الخالدة وفي ذكرى مئوية رحيل فنان الشعب خالد الذكر ، نحلق بنظرة طائر سريعة على موقع سيد درويش فى منظومة الموسيقي المصرية.

السيرة والمسيرة

ولد سيد درويش في تمام الساعة التاسعة من صباح يوم ١٧ مارس ١٨٩٢ بحي كوم الدكة بالإسكندرية، كان أبوه درويش البحر نجاراً فقيرًا له ورشة صغيرة في كوم الدكة لصناعة القباقيب والكراسي البلدية وكانت أمه اسمها ملوك من أسرة فقيرة، ويُعد حي كوم الدكة من الأحياء الشعبية الفقيرة ويسكنه عمال المعمار الفقراء



وكان لهذا الحي تاريخ طويل من النضال ضد الغزاة الأتراك والفرنسيين والإنجليز. حفظ الطفل سيد درويش القرآن وتعلم مبادئ القراءة والكتابة ومنذ نعومة أظافرة شب الصبي بالاستماع الى المشايخ أثناء إحياء المولد النبوي ومولد المرسى أبو العباس وفى العاشرة من عمره مات أبوه واستكمل الصبي تعليمه في مدرسة أولية وفيها استرعي الصبي انتباه مدرسي الأناشيد الدينية والقومية فأعتني به وجعله يقود زملاءه في ترتيل الأناشيد، ورويداً رويداً نمت موهبة سيد درويش وخرج من حدود حي كوم الدكة إلي الأحياء الشعبية الأخرى ، واستمع إلى مشاهير شيوخ المقرئين والمطربين الذين كانوا يحيون الأفراح والموالد الدينية في الثالثة عشرة من عمره وآنذاك التحق بالمعهد الديني التابع لمسجد (العباس- المرسى) لحفظ القرآن وتجويده مرتدياً ملابس رجال الدين في الخامسة عشرة من عمره وجد الفتي سيد درويش أنه يستطيع ان يكسب عيشه من الغناء في الأفراح والموالد بما يحفظه من التواشيح والأناشيد، ولهذا انصرف عن الدراسة وتفرغ للغناء والإنشاد مقلدًا مشاهير المنشدين والمقرئين

وعنـدما اشـدت الأزمـة الاقتصـادية في عـام ١٩٠٧م ، خلع سيد درويش ملابس المشايخ واشتغل مساعد نقاش مع عمال المعمار وقد لاحظ المقاول أن معنويات العمال ترتفع ويزداد إنتاجهم كلما غنى العامل سيد درويش لهم ولهـذا طلـب منـه التوقـف عـن العمـل والاكتفـاء بالغنـاء للعمال، وفى عام ١٩٠٨ م ، تصادف أن استمع أمين عطاالله شقيق سليم عطاالله صاحب فرقة مسرحية صوت سيد درويش يُغنى والعمال يرددون خلفه وبسرعة عرض عليـه الانضـمام لفرقتهمـا وفعـلاً لم يـتردد سـيد درويـش والتحق بالفرقة للغناء ضمن الكورس والغناء منفردًا ببعض الأغاني بين فصول المسرحية .

من الإسكندرية الي الشام

سافر سيد درويش برفقة فرقة الأخوين عطاالله إلي لبنان عـام ١٩٠٨، ولكـن لسـوء الحـظ فشـلت الفرقـة بسـبب سـوء الأحـوال الاقتصـادية وتشـتت أفرادهـا وظـل سـيد درويش في بيروت ودمشق وحلب بحثًا عن الرزق بقراءة القرآن في المساجد، والبحث عن أساتذة الموسيقي للتعلم مـنهم أصـولها وبعـد حـوالي تسـعة أشـهر عـاد الي الإسـكندرية واسـتمر في الغنـاء والإنشـاد في الأفـراح والمقاهي البلدية وخلال هذه المرحلة خرج سيد درويش عن دائرة التقليد وترديد ألحان الآخرين وبدأ يؤلف ألحانه الخاصة.

وفي عام ١٩١٠ أعاد سليم عطاالله تأليف فرقته المسرحية وضم إليها سيد درويش مجددا وللمرة الثانية سافر سيد درويش مع فرقة عطاالله الي لبنان، ولكن هذه المرة نجحت الفرقة نجاحًا باهراً مكن درويش من البقاء بها لأكثر من سنة التقى خلالها بقمم الموسيقي العربية وعلي رأسهم الشيخ إبراهيم الموصلي.

بين الإسكندرية والقاهرة

في عـام ١٩١٢ عـاد سـيد درويـش الي عـروس البحـر المتوسـط وعـاد الي الغنـاء في الأفـراح والمقـاهي الشـعبية وحقـق شـهرة ذائعـة الصـيت في الأوسـاط السـكندرية وتطايرت شـهرته إلى الأوسـاط الفنيـة في القـاهرة المحروسـة ولهـذا كـان كبـار فنـاني العاصـمة المصـرية اذا زاروا الثغـر السـكندري بحثـوا عـن المقـاهي الـتي يغـني فيهـا درويـش الشيخ سلامة حجازي – السكندري الأصل – الذي كان أقوى واجمل أصوات عصره

أعجـب سلامة حجـازي بألحـان سيد درويش ودعاه ال الحضور إلى القاهرة للعمل معه في فرقته المسرحية وبالفعل انتقـل درويـش إلى القـاهرة وقدمـه سـلامة حجـازي بداية في الغنـاء بـين فصـول الروايـات بيـد أن الجمهـور لم يـألف ألحـان الشـاب السـكندري الوافـد خصوصًا وأن صـوته لم يكـن في جمال وعزوبة صوت سلامة حجازي، ولذا قوبل بالصفير والاستهجان مما دفع سلامة حجازي إلى الخروج مـن خلـف السـتارة قـائلاً للجمـاهير: هـذا الفـتى العشـريني هو عبقري المستقبل.

استاء سيد درويش، وعاد إلي الإسكندرية وظل يعمل بها طوال سنوات الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨ وإذا كسد سوق الغناء اشتغل عاملًا وكاتباً للحسابات ومن المفارقـات ذاع صـيت درويـش آنـذاك في الأجـواء الفنيـة القاهريـة بأنـه ملحـن ذا اتجـاه جديـد في عـالم التـأليف الموسيقي.

النجم الساطع

اذا كان سلامة حجازي قدم سيد درويش الى الجمهور فقد كان جورج أبيض صاحب الفضل الأكبر في سطوع نجم درويش في آفاق الموسيقي المصرية ..

ففـي ظروف الحرب العالمية الأولى، ضعف الإقبال على مسرح جورج أبيض لكوارث الحرب قد صرفت الجمهور عن المسرح التراجيدي إلي المسرح الكوميدي الذي انفرد به نجيب الريحاني وعلي الكسار

وأمام هـذه التحـولات رأى جـورج أبيض تحويل فرقته إلى اللون الكوميدي الاستعراضي واستدعى سيد درويش من الإسكندرية وتكليفه بتلحين أول أوبريت له باسم فيروز شاه وفعلاً هرول درويش إلى المحروسة ولحن هذه الأوبريت التي كانت نقلة نوعية في عالم الموسيقى المصرية وأسرع نجيـب الريحـاني صاحـب شخصية كشكش بك بالتعاقد مع درويش في رواية ولو ومن المفارقات، انتشرت الحان هـاتين الروايتين انتشـارًا هـائلاً حتى كان يرددها الأطفال والعمال والفلاحون.

وبذلك تهافت عليه أصحاب الفرق المسرحية لدرجة أنه



لحن لأربع فرق وعدة صالات أوبرتيات من ألحانه في وقت واحد ونظرًا لاستغلال أصحاب الفرق لموهبته فقد كون سيد درويش فرقة خاصة به وعرض روايتين وهما شهرزاد والباروكة، وكان درويش يلعب دور الفتى الأول فيها

ولكن نظرًا لجهل سيد درويش الشديد بإدارة الفرق المسرحية وفنون الدعاية، فقد كان الإقبال ضعيفاً على فرقته الخاصة، فأضطر إلي حلها وعاد الي التأليف الموسيقي للفرق الأخرى.

وجدير بالذكر أنه خلال عامي ١٩١٧-١٩٢٣ وضع درويش الحان ٢٢ أوبريت (مسرحية غنائية) علاوة على الفصل الأول من أول أبرا مصرية وهي (كليوباترا ومارك أنطونيو) كما ألف عشرة أدوار للتخت ، وهي عبارة عن سيمفونيات عربية و ١٧ موشحاً على النمط القديم ولكن بروح جديدة وحوالي ٥٠ طقطوقة (الأغاني الخفيفة)

الشخصية والسمات الفنية

لم ينل سيد درويش تعليمًا موسيقياً محترفاً عدا بضعة شهور في مدرسة إيطالية للموسيقي بالإسكندرية، وكان كل ما تعلمه من حصاد استماعه إلي مشاعري القراء والمنشدين والمطربين، ومن حفظه عن الموسيقيين القدماء في الإسكندرية وبيروت وحلب والقاهرة ومن قراءاته الخاصة في كتب الموسيقي العربية القديمة

وقد انصبت معظم ألحان سيد درويش على خدمة القضية الوطنية والانحياز إلي الشعب المصري في مشاكله الاقتصادية والاجتماعية ، وإذا كان زعيم الأمة سعد باشا زغلول هو الزعيم السياسي لثورة ١٩١٩، فقد كان سيد درويش هو الزعيم الفني والمسئول عن تنوير الوجدان المصري ولهذا ، اتخذ درويش أسلوباً تعبيرياً اختلف كل الاختلاف عن الأساليب السائدة آنذاك والسابقة ، إذا أن الثورة في الموضوع ، أستلزم ثورة في الأسلوب لخدمة مصر الأمة والدولة.

بديع ودرويش

ارتبط سيد درويش برباط وثيق مع الكاتب بديع خيري وقد سجل خيري علاقته وذكرياته وانطباعاته عن سيد درويش في مذكرات مكتوبة ولقاءات إذاعية وتلفزيونية ومن ذكرياته:" لقد قاسينا معًا مرارة الفقر والجوع، ولكنه كان فقراً لذيذاً وكنا نهرب من المقهى الذى اعتدنا الجلوس فيه حتى لا يمر علينا صديق نعجز عن أن نطلب له قدحًا من القهوة كانت حياتنا موسمًا للإفلاس، ولكن كانت هناك مواسم للشراء هي مواسم تسجيل الأسطوانات التي تأتينا مرة واحدة كل ستة أشهر."

ورغم الفقر والاحتياج وصف بديع فنان الشعب سيد درويش قائلاً:" كان فناناً أصيلاً، له نفس أبية وكرامة عزيزة المكانة."

ومن ذكريات بديع خيري، كنا نسير أنا وسيد درويش وجيوبنا " صفر الدين من المال " في شوارع القاهرة وكانت القاهرة كلها " تتغنى بالحانة " ذهب إلي الأزبكية فإذا بالمطربين والمطربات يرددون أدواره القديمة وذهب الى عماد الدين فإذا بالمسارح كلها تردد ألحانه المسرحية، وذهب إلي روض الفرج فإذا بالمغنين والمغنيات وأفراد

الكورس يرددون ألحانه وأغانيه، عندئذ رفع سيد درويش وجهه إلي السماء وسالت دموعه، دموع السعادة والغبطة وفرح الفنان بإشاعة رسالته بين الناس

وعن وطنية سيد درويش ودوره في ثورة ١٩١٩ م، ذكر خيري :" إنني لا أزال أتصوره ولا يمكنني أن أنسى صورته وهو واقف في احدى عربات الحنطور في ميدان الأزهر إبان ثورة ١٩١٩ ينشد أناشيده الوطنية في حماس مشتعل وخلفه الوف الناس يرددون اللحن معه ويعرضون صدورهم لرصاص الإنجليز وكان من امنيات سيد درويش أن يضع موسيقي أوبرا عالمية تخلد جهاد الزعيم أحمد عرابي ولكن الرقابة الإنجليزية قد حالت دون إنجاز هذا العمل .

وقد آمن سيد درويش – حسب رأى بديع خيري الأصيلة في جميع موسيقاه وثانيهما: القوة والأصالة وقد آمن سيد درويش في أواخر حياته القصيرة بفكرة الاحتفاظ بالروح المصرية في الألحان مع انتهاج الأسلوب العالمي في الأداء وقد عزفت موسيقي سيد درويش في النمسا، فطرب لها النمساويون، وتحدثوا عن عبقريته.

الحكيم ودرويش

تعد شهادة الكاتب الكبير توفيق الحكيم عن فنان الشعب خالد الذكر سيد درويش من أهم الشهادات وحسب الحكيم:"كنا نعيش في ذلك الجو الفني العجيب الذى استطاع أن يخلقه سيد درويش، كنا نتتبع آثاره الجديدة في كل مكان ، ونعرف أحدث ألحانه قبل أن تذاع من فمه أو أفراد من التقطوها عنه في ليلة ن ليالي وحيه المنهمر."

وأردف الحكيم:"كانت أغاني سيد درويش وألحانه الشعبية تسرى في الناس كالنار في الهشيم لقد كان تواقاً الى الفن في صورته العليا رغم ثقافته البسيطة ، وحول علاقة درويش بفنون الأوبرا ، ذكر الحكيم :" لقد رأيت سيد درويش يأتي معنا إلي تيا ترو الكورسال ليشاهد جوقة الأوبرا الإيطالية ، فلقد كانت دار الأوبر ترفاً يستطيعه سائحونا ، ولا تطبيقه جيوبنا ما من شك عند في سيد درويش كان يرى من أسرار هذا الفن الأوروبي أكثر مما كنا نري ، وكان ينتفع ويتمثل ويهضم أضعاف

وكان درويش يريد فرض موسيقاه بطابعها الخاص على ذلك الجو الفني الأجنبي، وثمة اتهام إلي درويش من خصومه أنه خارج على القواعد والأصول والمعقول والمنقول .

وقد أشاد الحكيم بعبقرية سيد درويش فذكر " أنه استطاع أن يُلحن كل شيء واستطاع أن يلحن الجرائد اليومية " ، وأردف قائلاً نعم لقد أحس أن لا شيء يقف أمام نبع ألحانه المتغير لا النظم واجب له ولا الأوزان ، أي كلام عادي يستطيع أن يصب فيه لحناً يحييه."

وعن دور وعلاقة سيد درويش بثورة ١٩١٩ ذكر الحكيم :"لا جدال في أن الثورة المصرية كان لها هذا الأثر في توجيه سيد درويش إلي الإشادة بالمفاخر القومية في إطار من الصوت الصلب والعواطف الملتهبة والأداء القوي كما كان لهذه الثورة فضل في كل ما تسم به فن هذه الموسيقي من تجديد ولهذا كان سيد درويش ابن الثورة ١٩١٩ م ، هو قلبها الحديد الملتهب الذى تأثر بها وأخرج فناً قاد به الموسيقي الشرقية الي أفق جديد

فوزي ودرويش

أبدي د. حسين فوزى – السندباد المصري – رؤى مهمة عن العالم الإبداعي لسيد درويش فقد عايش سيد درويش وألف ألحانه في تلك اللحظة النادرة من حياة الأمم فالطقاطيق وألحان روايات الريحاني الاستعراضية وضعت في أواخر الحرب العالمية الأولي والعشرة الطيبة وهدي وشهرزاد ألفت في اعقاب الحرب الأولي وإبان فوران الحركة الوطنية، ويعد سيد درويش أحد عظماء الحركة الوطنية ثورة ١٩١٩، لأنه الفنان الذى ولى ظهره للماضي، لا ليعيش حاضره بل ليحيا في المستقبل أيضًا سيد درويش هو رجل الثورة المصرية لأنه جدد في الموسيقى كما جددت الثورة في الفكر وطرق الحياة ،كان سيد درويش يؤلف اللحن الذى يؤدى إلى شيء أبعد وأعمق من مجرد الطرب

لأن ألحان سيد درويش تعبر عن المعاني أصدق تعبير وقد تصل في بعض الأحيان إلي إعطاء صورة واضحة للأشخاص ويتضح ذلك حتى في ابسط ألحانه تلك التي وضعها على السنة فئات شتى من الناس مثل السقاين والحشاشين والنشالين وأولاد الذوات وبائي اليانصيب والفتوات .

وبمثل هذا الابداع استطاع سيد درويش أن يتخطى حسب فوزي – القرف الموسيقى في التعبير عن صد الحبيب ووصال الحبيب وتخطى الموسيقى في تصوير الحب والحزن والحماس إلى الدعاية فالضحك فالتصوير الكاريكاتوري.

طليمات ودرويش

ثمة آراء مهمة جدًا أوردها فارس المسرح العربي ذكى طليمات عن الفنان سيد درويش واضع أسس الموسيقي المصرية الحديثة، ففي ذات الأيام سأل طليمات درويش عما استفاده من رحلاته الفنية إلى بلاد الشام مع فرقة الأخوين عطاالله أجاب درويش: التواشيح والضروب الموسيقية القديمة ثم أناشيد الكنائس وهذه الأناشيد موسيقي والحان لله إنها الموسيقى التي تعبر عن أرفع الأحاسيس البشرية، إنها اوبرا إلهية

ويقول طليمات انه تعلم من درويش القلق الروحي وكل ما ينتجه من عدم رضا الفنان عما يقدمه، انما هو سر نجاحه وتفوقه وبغيره تجمد المواهب اذ تنصرف عن محاولة السير بما هو حسن الى ما هو أحسن، كما تعلم منه أن التلحين ليس مجرد تحويل سلام الى أنغام فقط وكذا ان التلحين الجماعي أكثر تأثيرا في نفوس الجماهير من اللحن الفردي.

وقد نشر طليمات هذه الرؤية لدي درويش بأنها حصد ثورة ١٩١٩ انما هي أصوات متكاتفة وصحيات اتحدت فتصرعت امامها صخرة الاستعمار وقد رأي درويش بعيني في المناورات الحزبية السياسية كيف ان هذه الأصوات كانت لا تحدث شيئاً، بل انها تتحول الى صراخ أجوف إذا تفرقت وتنابذت

وقد وصف طليمات الحان سيد درويش بأنها الألوان النفسية لمعاني الكلام توضع أولا في نقط صغيرة تبعًا لتوارد المعاني واحداً فواحداً، ثم يسد هذه النقاط بعضها إلى بعضها الآخر الإيقاع الأساسي الذى اختاره الملحن وقد استوحاه ببصيرته من معانى الكلام فإذا هذه النقاط تتجمع وتتداخل إذا اللحن يُعبر أبلغ تعبير، وقد ارتسمت في الآفاق أول نقطة للتحول في الموسيقي المصرية من حيث الثورة على موسيقي القوالب ورغم نجاح هذه الألحان، فقد كان درويش غير راض إذ يُريد مسرحية محلية يُلحنها، يُريد تربة مصرية يحرثها بأنغامه. وموطن التأثير في موسيقي درويش أنه ينفعل انفعالاً كاملاً بمعاني الكلام الذى يُلحنه. إنه في ألحانه الشاعر، وليس الناظم، واللحن عنده ليس إيقاعًا ونغمًا. وقد أرجع طليمات هذا إلى أصداء ثورة ١٩١٩ والثورة على الاحتلال وعلى القديم. وفي كل مرة كانت تنجح أغنية لسيد درويش يقول كأني قتلت ألف انجليزي.

وفي كلمة موجزة استطاع درويش استلهام روح العصر.

وقد أنهى طليمات تقييمه لدرويش بأنه أحسن ما ينشده الوعي المصري من مطالب تحقق له المزيد من التجدد والتحرر ومن الانطلاق بعد أن شعر بذاته وتطلع إلى الغرب في فنونه وتياراته. إن موسيقى درويش تعبير عن مزاج أمة بأسرها كان موسيقيًا من طراز فريد على الشرق.

آراء ورؤى

حسب بلورة الكاتب المحامي عباس الأسواني، كان سيد درويش صوت الشعب في طبقاته الأصيلة، لم يتطلع إلى إرضاء الملوك والأمراء وأصحاب النفوذ، وإنما اتجه بقلبه وفنه إلى الكادحين إلى المسحوقين... ومن هنا كانت حياته غصة في حلق الحاكمين. وموسيقاه رعدًا في آذان أصحاب النفوذ، فما كادوا يهيلون على جثمانه التراب حتى أهالو على ذكره وموسيقاه الألحان. لقد أتاحت وفاة درويش المبكرة للإقطاعيين وذوى النفوذ فرصة نادرة لإحكام إغلاق الباب على الموسيقي التي تعبر عن شكايات الشعب وآنات المظلومين. وقد هاجم أعداء درويش فنه واصفين إياه بأنه غني لطبقات لا قيمة لها. فما قيمة البوابين والشيالين والحماريين والسفرجية والسقائين. ولكن سيد درويش الذى عاش مع الشعب، وغني للشعب، وصبر مع الشعب.

وعن فنان الشعب سيد درويش **قال الكاتب الكبير عبدالرحمن الشرقاوي**: سيظل سيد درويش زاداً للشعب المصري، يُغنيه في لحظات الضيق ولحظات الحنق، وستظل أنغام درويش تمنح الناس زاداً متجدداً لقد عبر الرجل عن شجية المصريين وفرحهم وأحلامهم ومباهجهم، ومن هنا تنبع القوة التي يتميز بها تراث درويش وهنا أيضا يكمن سر العظمة والخلود في التراث الفني لدرويش.

وحسب تقييم الكاتب الكبر فتحي غانم

فقد انحاز سيد درويش إلى الطبقات الشعبية، سواء من عمال وفلاحين، وفقراء متشردين في شوارع المدينة من صرعى الإفلاس والمخدرات، وقد يبدو غريبًا كيف استطاعت هذه الشرائح الاجتماعية أن تُسيطر عن فن درويش، وهي شرائح ضعيفة سياسيًا ولكن ثوار الشعب كان يتنفس وينتفض في تلك الأيام، أيام ثورة ١٩١٩-١٩٢٣. وكانت الطبقة الوسطى تقود الثورة بزعماء خرجوا حديثًا من الفلاحيين ومازال قريبي الصلة بسواد الشعب الذى كان يقدم ضحايا الثورة ودمها ومظاهراتها وعنفها وشدتها. وهكذا وقف درويش ليعبر ويسجل بفنه مشاعر سواد الشعب لا مشاعر الاقطاعيين ولا حتى المشاعر الخاصة للطبقة الوسطي. وأكمل فتحي غانم قائلاً لم يتصل سيد درويش بأفندية أو بكوات، ولم يدخل بيتا وصالونات، ولم يجلس في ندوات مثقفين وشعراء، بل ظل في الشارع يلازم العمال والصنايعية وأولاد الشوارع، يسمعهم ويطور ألحانهم، ويرفع صوتهم، وينشر مجلجلاً بين جميع الناس في مختلف الطبقات.

ووصف الكاتب المسرحي الكبير نعمان عاشور فنان الشعب سيد درويش بأنه خرج من الشعب المصري لينقل الموسيقي والغناء من خلف أسوار القصور ومن فوق أعتابها في الأفراح والليالي الملاح إلي حيث الشوارع التي يمشي فيها الناس والحوارى والأزقة لا لمجرد الطرب، ولا بقصد اللهو والتسلية . كان إذا قال لحناً غناه الناس أجمعون، وتلك حقاً هي الرسالة الفعلية للفنون. وتُعد ظاهرة سيد درويش أنه غني للناس غناءهم.. غناء الجموع.

وأفاض الكاتب يوسف حلمي في الثورة الموسيقية في تراث سيد درويش. إن الحقيقة التي ينعقد عليها اجماع الناس – حتى خصوم درويش – أنه قد أحدث ثورة كاملة وهائلة في الموسيقى المصرية، وأنزل الستار نهائيًا على عهد مضي ولن يعود، فتح أمامها آفاقاً جديدة غير ذات حدود.

قبل درويش كانت الموسيقي (تتسلطن) على التخت، ولم يكن يتجاسر على الغناء الا جبابرة الصوت الرخيم. أما بعد سيد درويش فقد أصبح كل الشعب يغنى كانت الموسيقي قبل درويش خليطًا من الأنغام التركية والفارسية، وكانت فناً سجيناً في القصور . وهكذا أخرج درويش الموسيقى من القصور إلى الشوارع، ولا ريب أن سيد درويش مؤسس المدرسة القومية في الموسيقى العربية .

الثائرون أحياء
صحوة المحكومين في مصر الحديثة (١-٢)



بقلم: أحمد محمد إنبيوه

أعمق النتاجات المعرفية، التي عملت على التاريخ المصري، تلك التي اهتمت بالوجدان المصري وطبقات تكونه، وتشابكاته مع الإرادات السلطوية والمقاومات الجماهيرية. أنها فعلاً رحلة طويلة، رحلة بناء السياقات الفكرية والاجتماعية، والتي بدورها تُفسر وتفكك شفرات الكيان الملغز والمبهم؛ لأن نكون مالكين لا مملوكين في مصر المحروسة منذ نهايات القرن الثامن عشر وحتى الآن. رحلة كانت الثورة في قلبها ثمرة نهائية لمراحل تطور وعي ونضج المصريين بذاتهم الجماعية، ككيان واحد، له همّ ورغبة وحلم مشترك بالخلاص والامتلاك، حلم التحرك من خانة الرعايا الضيقة لباحات المواطنين الشريفة. الثورة هنا بوصفها؛ أكثر الأفعال التاريخية حيوية في وجدان المصريين الحديث- على الأقل، وقدرة على التعبير عنهم كذات جماعية – ولو مؤقتا. فلماذا إذن يثور المصريون، ومتى يثورون؟ لكن الأهم هل كانت الثورة في تاريخ مصر الحديث، مجرد هبات وجمل اعتراضية، لم يكن لها ما بعدها، أم كان الحراك الثوري بمثابة تراكم في وجدان الرعايا، انتهى بهم لأن يكونوا مواطنين، لهم الشخصية السياسية والقانونية التي تتعامل مع الوطن باعتبارهم ملاكًا، لا مجرد مستأجرين.

في وقت متأخر من هذا العام – ٢٠٢٣ – صدرت دراسة رصينة مترجمة عن الفرنسية عن دار الشروق بعنوان "صحوة المحكومين في مصر الحديثة: من رعايا إلى مواطنين" ١٧٩٨ – ٢٠١١"، دراسة لمحمود حسين، وهو بالمناسبة اسم مستعار لاثنين من المفكرين والمناضلين



المصريين وهما بهجت النادي وعادل رفعت، أجبرهم القمع السلطوي في الستينيات لمغادرة مصر والاستقرار بفرنسا حتى أصبحا من كبار الأسماء في الوسط الثقافي الفرنسي. كما أنهما حصلا على دكتوراة الدولة من جامعة السوربون بالاشتراك سويًا. تحاول دراسة محمود حسين قراءة تاريخ طويل خاضه المصريون للتحول من هامش إلى قلب الفعل السياسي والاجتماعي. كما يُمكن اعتبارها، محاولة معتبرة لإعادة الاعتبار لأصل الأصول في تاريخ مصر الحديث؛ العلاقة المركبة والمرتبكة بين الحاكم والمحكومين. ومن ثم، فهي دراسة تحاول أن تلاحق التوتر السياسي والاجتماعي الذي يستبق عادة مراحل الانتقال المفصلية التي شهدتها مصر طوال تاريخها الحديث،

المصريين وهما بهجت النادي وعادل رفعت، أجبرهم القمع السلطوي في الستينيات لمغادرة مصر والاستقرار بفرنسا حتى أصبحا من كبار الأسماء في الوسط الثقافي الفرنسي. كما أنهما حصلا على دكتوراة الدولة من جامعة السوربون بالاشتراك سويًا. تحاول دراسة محمود حسين قراءة تاريخ طويل خاضه المصريون للتحول من هامش إلى قلب الفعل السياسي والاجتماعي. كما يُمكن اعتبارها، محاولة معتبرة لإعادة الاعتبار لأصل الأصول في تاريخ مصر الحديث؛ العلاقة المركبة والمرتبكة بين الحاكم والمحكومين. ومن ثم، فهي دراسة تحاول أن تلاحق التوتر السياسي والاجتماعي الذي يستبق عادة مراحل الانتقال المفصلية التي شهدتها مصر طوال تاريخها الحديث، بما يفتح لنا درجة من التبصر التاريخي لمكامن الحيوية والأداء الجماعي للفعل السياسي والاجتماعي وقت هذه التحولات.

السلطة يتشكل نوعا ما حول هذا الشيخ في المدينة، أو الشيخ في القرية، العمدة أو الملتزم أو صحاب الأمر والنهي فيها.

نهاية وبداية قرن تحول بطيء باتجاه السيادة

كان ثمة فاصل صارم بين في مصر العثمانية، بين الطغمة الحاكمة بقوة السلاح، والبقية المحكومة. وكان لهذا تداعياته على المستوى الاجتماعي، والنفسي لجسد المجتمع وقتذاك. وصف محمود حسين مصر في نهايات القرن الثامن عشر؛ بأنها "ولاية من ولايات الإمبراطوريات العثمانية، يحكمها وال عثماني بمعاونة طاقم إداري وميلشيات مسلحة من أصول أجنبية، يتحدثون جميعا اللغة التركية ويشكلون طبقة الحكام.. أما المحكومون فهم الأهالي من أصل مصري، لغتهم العربية، وهم ممنوعون من حمل السلاح. يرون أنفسهم رعايا السلطان، ويخاطبون الحكام بلفظ "الأسياد" أو "العسكر". وهكذا كان بين الحكام والمحكومين حد فاصل صارم عرقيًا وسياسيًا وعسكريًا. وكان لطبقة الأسياد كيان شديد الخصوصية، تم تشكيله الأصلي قبل استقرار الإمبراطورية العثمانية في مصر. فالمماليك عبيد عسكريون.. وأصبح من المألوف أن يقتسم بعض أمراء المماليك السلطة الفعلية في مصر، بل أن يتصارعوا عليها. وقد مارسوا، وهم على رأس قوات لا تزيد في مجموعها على عشرة

السيطرة الحقيقة على بلد تراوح عدد سكانه ما بين ثلاثة أو أربعة ملايين نسمة ."

كان الخوف هو الحاكم الأساسي، لا فقط القدرة التنظيمية والانضباطية للفرق العسكرية. لكن إلى جانب هذا، شكلت طبيعة التنظيم الاجتماعي في المدن شكل العلاقة المركبة ما بين الأهالي وطبقة الحاكمين. إذ، "قامت الجماعات العضوية التقليدية كافة، سواء مدنية أو ريفية أو بدوية، حرف أو قرى أو قبائل، على النمط الأبوي الذي يدين بالطاعة لرب الأسرة الذكر .

وكانت الدولة تختار رجلا، من بين أرباب الأسر، الشيخ، ليتحدث باسم الجماعة، وينقل لأهله أوامر الإدارة ويتولى جمع الضرائب والمكوس المفروضة عليهم، ويختار الأفراد الذين وقع عليهم عبء الاضطلاع بأعمال السخرة. وقد لعب هؤلاء الشيوخ دورا مزدوجا إذ ارتبطوا عضويا بجماعاتهم الأصلية، واكتسبوا وضعا رسميا أنيط بهم من قبل الطبقة الحاكمة وفرضوا بذلك حضور السلطة في قلب تلك الجماعات ."

باختصار، عاش السادة والرعايا في عالمين متباعدين، لكل منهما أسلوب حياته، وقوالب سلطته، وآليات انضباطه. كان السادة يحكمون ويحاربون ويحافظون على الأمن. بينما كان الرعايا يعملون وينتجون ويقدمون الخدمات دون أن يتدخل السادة في إيقاع الحياة اليومية للرعايا. تدخلوا في شئونهم –في معظم الأحيان من خلال الشيوخ– لجباية الضرائب.. وبمرور الزمن تمكن العلماء ذوي النفوذ، والأغنياء من التجار، ومن شيوخ الجماعات العضوية التقليدية، من مشاركة السادة في بعض أعمالهم، فحصلوا بدورهم على إقطاعيات وشاركوا في جباية الضرائب وعقدوا تحالفات ومصاهرات مع الأسر المملوكية. اكتسبوا بذلك وضعًا اقتصاديًا شبيهًا بوضع السادة، إلا أنهم بقوا كرعايا. كونوا فئة خاصة من المجتمع ذات ملامح ومعالم، ميزتهم عن عامة الشعب وعن السادة على حد سواء. شكلوا الصفوة التقليدية للبلاد، وهي صفوة جمعت ما بين معرفة فكرية وقاعدة مادية، أتاحت لها وضعًا مؤثرًا بين الحكام، فضلًا عن سلطة حاسمة على المحكومين فأصبحت جزءا من النظام

ويمكن أن نختزل الكثير حين نتحدث عن العلاقة بين الحكام والمحكومين "هي علاقة تميزت بانعدام المساواة. فالرعايا عمليا ملكية جماعية للسلطان، له عليهم سلطان الحياة والموت. ويمارس هذا السلطان باسمه من قبل العديد من ممثليه الرسميين. أمر يصدر ورأس يطير دون نقض ولا إبرام. ارتكز النظام في مصر على ولاء الرعايا الجماعي للدولة الممثلة في شخص السلطان. كما قام هذا النظام على انعدام المساواة بين طبقة سائدة تنفرد بملكية السلاح والقدرة على استخدامه وشعب منزوع السلاح وممنوع من اقتنائه، بين طبقة قادرة على جمع المعلومات واتخاذ القرارات وتطبيقها، في مواجهة أهال مجزئين مبعثرين في تجمعات متناهية الصغر، منغلقة على نفسها، مكتفية ذاتيا بالحد الأدنى من الإمكانات غير قادرة على إيصال صوتها وعلى التواصل فيما بينها. وعليه لم تطرح أسس النظام للمناقشة في يوم من الأيام، بل لم يتخيل أحد أنه من الممكن أن تختلف أسسه عن تلك التي عاشوا عليها. فلم يكن من المتصور أن يضع أحد موضع الشك شرعية السلطان، أو انعدام التماثل بين السيد والرعية، أو مبدأ الضرائب المفروضة من الأول على الثاني، فتلك أمور مسلّم بها، يتماهى معها الجميع لأنها ترتكز على قيم سامية، مقدسة. لننتقل إذن إلى العقيدة الشعبية السائدة آنذاك، إذ لا يمكن فهم سلوك المحكومين دون الرجوع إلى الهيكل الوجداني، الروحاني والفكري، الذي كان يتحكم في هذا السلوك ويعطيه تماسكه ودوامه".

كانت الحياة في سنوات القرن الثامن عشر وما قبلها، سنوات ولاءات متداخلة، لكنها لم تفض أبدًا لشعور ما يلف الجميع بأنهم ينتمون لكيان جمعي. "لم يكن رعية السلطان يملك ذاته، إذ كان يعيش حياته في شبكة من الولاء الملزم لعديد من الجهات، وإن كانت تتخلل انغلاق ورتابة تلك الحياة لحظات مميزة من الوحدة، وومضات من الإدراك الشخصي، وأشكال بدائية من المسارات الفردية، قد تسمح له بأن يستمتع بحضن حميمي، بتبادل ودود، بولادة أو بزفاف، بإنهاء عمل على أكمل وجه أو بإبرام صفقة. إلا أن الرعية كان يتقبل هذه الومضات اللحظية على أنها هبات إلهية.

ففي مثل هذه الظروف، كانت مجرد فكرة أن يخرج الرعية على الإطار التقليدي ليخوض تجربة شخصية، تبدو كدرب من الجنون، وكبدعة مرفوضة لكونها تتحدى القدرة الإلهية ". اقتنع الرعايا خلال تلك السنوات أنهم أدوات في أيادي القدر ساعة وأيادي أصحاب السلطان ساعات. "رضخ رعايا السلطان "لنظام الأشياء" الذي أراده الله، وانصاعوا للدور النوط بهم في هذا النظام. فلم يخطر لهم أنه يمكن أن إدخال أي تغيير عليه. إلا أن ظروفًا استثنائية كانت تحدث، تحمل الرعايا على أن يخرجوا من سلبيتهم – أن يخرجوا، حرفيًا، من أنفسهم، فيتركوا أحيائهم للتجمهر في الميادين العامة. أي أن يتمرّدوا. وهو أمر غير مفهوم لأول وهلة ". واستمر الحال هكذا إلى أن كان الاحتلال الفرنسي. وما فعله الاحتلال الفرنسي في ١٧٩٨ أنه أعاد هيكلة العلاقة بين المصريين بعضهم ببعض وبين الحكام في الجانب الآخر. لكن كيف؟

أعطى الانفجار الثوري الذي صاحب الاحتلال الفرنسي، ممثلًا بشكل جوهري في ثورتي القاهرة الأولى والثانية، الفرصة لإعادة مفاهيم الإذعان وتحريرها نوعا ما من ارتباطاتها الدينية "هجر الرعايا، خلال تمرد القاهرة الأول، ولأول مرة في تاريخهم، (حقا، بتشجيع من قبل علماء من الصف الثاني) سلطة كبار العلماء أصحاب كلام الله. بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك خلال تمرد القاهرة الثاني بخروجهم على سلطة الأسياد أنفسهم". كما كان هذا الانفجار الثوري فرصة لكسر أحد تابوهات الوجود في الكون المصري؛ أن يحمل الرعايا السلاح "سجلوا بذلك تجاوزا "لنظام الكون" الذي يمنع الرعايا من حمل السلاح. أصبح هذا التجاوز الذي اضطر الحكام إلى قبوله، موضع خلاف شديد خلال المرحلة الأخيرة من المواجهة مع الفرنسيين، عندما قرر العثمانيون والمماليك وكبار العلماء التفاوض مع كليبر على الاستسلام، منعهم الرعايا، واضطروهم على الاستمرار في القتال". هذا الوعي الجمعي المقاوم كان الإنجاز الأهم التي خلفته نيران المدافع الفرنسية، الوعي الجمعي الذي اخُرج من قلبه الزمرة التي كانت ترى في ذاتها أنهم "الأسياد" وما دونهم

وزلزل هذا الموقف أساس سلطة الأسياد .
بل " لم يكتف الرعايا، في هذا الحدث، بمنع السادة من التسليم للكفار. وإنما أطاحوا بحاجز لم يتم تخطيه من قبل: اعترضوا على حق شرعي من حقوق هذه الطبقة، ألا وهو الحق الحصري في اتخاذ القرار دون أي اعتبار لرأي الرعايا. هكذا أصيب الاحترام السائد في أعماق المحكومين منذ الأزل، والذي يلزمهم بطاعة عمياء، بشرخ أول". وولد هذا الشرخ مسارا للتساؤل الذي سيظل ملازما للرعايا حتى بعد أن يتحولوا لمواطنين؛ لماذا لا نأخذ المبادرة، ونتحول لمالكين لا أن نظل مملوكين؟

حداثة الباشا.. مزيج بين المقاومة والسيادة الوليدة

حينما رحل الفرنسيون، عاد العثمانيون والمماليك للتعامل مع السلطة ومع المصريين وكأن شيئا لم يكن، غير مدركين للشرخ الذي حدث في البنية العقلية والجماعية للمصريين إزاء كونهم، رعايا مستسلمون لأقدارهم التي يديرها المماليك باعتبارهم أولياء الأمر الذين تجب طاعتهم دون مظهر من مظاهر الاعتراض درئا للفتن. فلم تعد السلطة مقدسة، وفقدت كثير من هيبتها وطاقة الخوف التي تبثها في وجدان الرعايا. ومن ثم فقد فشل الولاة الذين ارسلتهم الدولة العثمانية في الفترة من ١٨٠١ حتى ١٨٠٥ في تدجين الروح الثورية، بل لم يدركوا ولم يعبأ أحدا منهم بوجودها بالأساس. فأثناء الثورة على خسرو باشا تبين "أصبح للعامة قادة من العلماء والأعيان، ذاع صيتهم أثناء فترة الاحتلال الفرنسي. ويدين لهم الرعايا بالسمع والطاعة". وحينما نزل الباشا محمد للشارع باعتباره أحد قادة الفرق العثمانية كان خطابه يذهب "لمناقشة القادة الساخطين والتمردين وأصحاب الحوانيت ."

وخلال العقد الأول من القرن التاسع عشر، كانت الروح الجماعية تشهد نوعا ما من الهم المشترك، وربما الوعي الجماعي، تجاه أنفسهم وماذا يريدون ممن يحكمهم. كان ثمة ثقة جماعية شهدتها هذه السنوات الفريدة قي تاريخ المحروسة. " بدا واضحًا أن الأحياء والجماعات، تلك الكيانات التي كانت حتى ذلك الحين منغلقة على وهو حدث جديد، إذ كان يتصادف أن تنسق الأحياء بعض مواقفها بشكل عفوي وتلقائي، أما هذه المرة، فقد تشكلت قيادة جماعية خضع لها المشايخ والأهالي كافة وأطاعوا أوامرها. وتبلور من خلال هذا الحدث إحساس ما بالجماعية المدنية، وجد صداه في مدن أخرى غير القاهرة. بزغ شعور بالانتماء إلى مجال أوسع من الحي، وتولد عند الأهالي الإحساس بأن هذه الوحدة هي التي أدت إلى الانتصار على الوالي. وصاحب هذا التضامن المدني انتقال ولاء الأهالي من المماليك إلى صفوة العلماء والأعيان. وهو موقف لم يسبق أن عرفه المصريون من قبل، إذ كان نفوذ هذه الصفوة لا يتجاوز حد الوساطة بين الأهالي والأسياد ."

لم يحدث الزلزال العنيف الذي قد يقوض سلطة الحكام الأسياد كاملة، "إلا أن هذه الصفوة فرضت نفسها، اعتبارا من ١٨٠٤ كسلطة مضادة للأسياد، واكتسبت بذلك طابع هيئة شبه حاكمة. لا يمكن التقليل من أهمية هذا التحوّل على صعيد المجتمع المصري: فلأول مرة، أعلنت الأحياء ولاءها لهيئة مصرية هيئة مكونة من رجال يتحدثون بلغتها، ويشاركونها اهتماماتها اليومية. بدلا من الهوة التي كانت تفصل بين المحكومين والحكام بفعل الفروق العرقية واللغوية، قامت علاقة ذات طبيعة جديدة، تسمح بالتبادل، والإخاء، والثقة. نتج عن هذا الوضع الاستثنائي، فراغ نسبي في قمة السلطة. انتهى هذا الفراغ في نهاية ١٨٠٨، بتثبيت سلطة محمد علي. إلا أن ممارسة الصفوة للسلطة المحلية أثناء الوضع الاستثنائي قد ألهبت العقول، وفتحت أمام الأهالي أفقا غير مألوف من الأمل والسعادة فسروه على أنه علامة من السماء، وبركة يعلن الله بها للمؤمنين أن سنوات الذل والشقاء على ظهر هذه الأرض قد لا تكون أبدية. كان الفاعل الحاسم في هذا الانقلاب، هو صفوة العلماء والتجار ومشايخ الجماعات الحرفية والأحياء، وكانت قدرتها على السيطرة على الأحداث هي التي سمحت لغضب الشارع أن يتحول إلى انتفاضة طويلة المدى، حققت الجزء الأكبر من أهدافها. فمن أجج التمرد واستمر في توجيهه حتى النصر، ليس محمد علي، بل هي نواة القادة التي بزغت من قلب تلك الصفوة ."

حقيقة، لقد كان المصريون في تلك السنوات العاصفة على أعتاب اكتشاف ذاتي وجماعي مذهل، كفيل بإحداث انقلاب في متوالية السلطة ومعادلة الحكم، في حال لو تم البناء عليه. "لقد توصل المصريون إلى اكتشاف تاريخي، وهو أن مفهوم الحكم الذي مارسه العثمانيون والمماليك، والذي ساد حتى ذلك الوقت باعتباره الممكن الوحيد، بدا فجأة غير ذلك، فلم يعد هو المفهوم الوحيد المتاح، بل تبين للأهالي أن هناك مفهوما آخر أفضل منه.. تبنت الصفوة هذه البديهية ونشرتها في الأحياء التي سيطرت عليها، بينما كانت الفئة الحاكمة قد فقدت الكثير مما كانت تتمتع به من شرعية دينية ومعنوية". نحن هنا بصدد لحظة مد ثوري، لكنه استثنائي ومؤقت. لكن لماذا كانت السكرة الثورية مؤقتة، وهي التي ظن معها أنها دائمة، لماذا لم تدم المعادلة التي كانت فيه الجماعة المصرية في حالة ندية مع السلطة التي حكمتهم لدرجة ساد القول "إن خاننا الوالي الجديد، فسوف نعزله مرة أخرى". كان هذا حلما سابقا لعصره، فسيأتي الباشا محمد على بمنظومة حكم وضبط وسيطرة جديدة، لا يكون فيها المصريون إلا مجرد تروس في عقل الباشا ومشروعاته .

لماذا لما يتم البناء على هذا النضج الإدراكي من المحكومين تجاه السلطة الجديدة القديمة؟ لنبحث قليلا عن الإجابة في الفقرة التالية من دراسة "صحوة المحكومين في مصر الحديثة: من رعايا إلى مواطنين"، "ينتفض الرعايا، إذا انتفضوا، عندما يتخذ الحكام قرارات، أو يقومون بأفعال، تحيد عن الإطار الشرعي للدولة الإسلامية. عندما تبلغ الأمور هذا الحد، يموت مئات بل آلاف من البشر في الشوارع، وتُرصد حالات من أكل لحوم البشر. عند ذلك تتزلزل البديهيات، ويضطرب اليقين. يصرخ الرعايا محنتهم في وجه الأسياد الذين تخلّوا عن تعاليم الله. يتجهون كالعادة نحو العلماء، متضرعين إلى الله ليعيد الأمور إلى نصابها. هم لا يفكرون للحظة أن يعصوا الأسياد، ومن باب أولى، لا تدور بمخيلتهم أن يحلوا محلهم، هم ينتفضون فقط لتذكير الأسياد بواجباتهم. تعاش انتفاضة الرعايا كتحرك لإعادة الأمور إلى نصابها. للتظاهر مع أحياء أخرى، فينصهرون في كتلة جماعية كبرى تتخطى جماعاتهم الحرفية الضيقة. لا شك في أن شرعية الأسياد تعاني خسارة نسبية في أثناء تلك الأحداث، تواكبها زيادة نسبية في شرعية العلماء. إلا أن التوازن بين المؤسستين اللتين ترتكز عليهما هيمنة الدولة، لم يكن هدفا للتغيير. «فنظام العالم»، رغم ما أصابه من اضطراب، لم يكن، في أي لحظة، محل شك. لذلك، فالانتفاضة لا تستمر طويلا، تفقد أنفاسها سريعًا. لم يغب عن القائمين بها أنها فتنة تقوض وحدة الأمة. لذا فهي ليست مصدرا للبهجة. يعيشها الرعايا كتجاوز آثم وإن كان تجاوزا لا مفر منه ."

فلم "يدرك المحكومون أنهم يشكلون كيانا جماعيا مستقلا، فلا يعيشون رفضهم لطبقة المماليك على أنه مطلب ذاتي مستقل، نابع من ضميرهم ويعبر عن دوافعهم الخاصة، وإنما رأوه تعبيرا عن أمر إلهي، يهدف إلى إحياء الدولة الإسلامية وإعادتها لحقيقتها الأصلية.. فلم تصبح العلاقة بين الصفوة والأهالي علاقة تعاقدية بين وكيل وموكل، وإنما بقيت علاقة وصاية من النوع التقليدي.. فالصفوة لا تتوقع من الشعب إلهاما ولا توجيها. فهي التي توجهه وتلهمه. ومن هنا الهشاشة القصوى التي تميز بها وضع هذه الصفوة. فلما انحسرت مرحلة المد الثوري، وانسحب الشعب داخل أحيائه، لم تجد الصفوة القوات اللازمة لتواجه بها محمد علي. هذا بينما الوالي الجديد يمهد لبناء دولة بالمعنى الكامل للكلمة ."

وحينما حانت لحظة الانتصار للإرادة الجماعية إزاء الحاكم الفرد، " لم تكن لدى الصفوة التقليدية صورة بديلة تواجه بها صورة حكم محمد علي. فهي لم تر دورها إلا كهيئة استشارية في إطار حكم الوالي الجديد. أضف إلى ذلك، أن العديد من قادتها قد فقدوا استقلاليتهم بقبولهم للامتيازات القيمة التي منحها لهم محمد علي. وحين فرض الوالي الجديد في غضون عام ١٨٠٨ ضريبة جديدة اعتبرها ضرورية، بينما رفضها الأهالي، انقسمت قيادة الانتفاضة حول مدى ملاءمتها.. وتصدى عمر مكرم لهذه الضريبة، فما ناله غير النفي لدمياط، وتقبلت الأهالي الحدث بحزن.. ومن ثم فقد اختار محمد علي

الوقت الملائم لإعلان أن سلطة الوالي لم تعد محل مناقشة، وأن ساعة مجد الصفوة التقليدية قد ولت."

في المقابل، كان لدى الباشا محمد علي رغبة متصاعدة في تأسيس ملك له ولأبنائه من بعده "كان جوهرة إقامة دولة مركزية يديرها هو وجماعة اختارها بنفسه.. إلا أن نقطة البداية الضرورية في مشروعه، هي إرساء أسس نظام سياسي مستقر، يقوم على هيمنة الدولة المطلقة على المجتمع. فكان همه الأول إنهاء حالة الفوضى وانعدام الأمن والعجز عن التنبؤ بالأحداث. وأخيرا، عمل محمد علي على أن يعود الأهالي إلى الطاعة التلقائية للحاكم ومن حوله . تلك العادة التي كانت قد اضطربت كثيرا منذ وصول الحملة الفرنسية – أي أن يطووا صفحة مناهضة السلطة، بل ويحوا تلك الصفحة من ذاكرتهم. استمد شرعيته من مصدرين. الأول هو قدسية الحاكم بأمر الله الذي سلبها من السلطان، والثاني هو تقاليد تأليه فرعون التي كانت قد غفت وإن لم تمح، والتي عادت إلى الحياة شيئا فشيئا. أرسى محمد علي نظام دولة جديدًا، كان هو على رأسه واحتكر سلطاته كافة. أنشأ مؤسسة عسكرية وإدارة مدينة تحت سيطرته المباشرة، بعد أن سحق المماليك ومن كان معهم. وشكّل في الوقت نفسه صفوة مدنية فكرية، اندمجت في الهيكل الإداري الجديد للدولة. وضع بذلك حدًا لاستقلالية هيئة العلماء. وأصبحت في يده سلطة اقتصادية مطلقة بعد أن انفرد بملكية وسائل الإنتاج ."

أنتجت الدولة الحداثية التي أسسها الباشا محمد علي، آلة اعتصار عملاقة لفائض الحيوية والقيمة في مجتمع القرن التاسع عشر، لكنها في المقابل خلفت درجة من المقاومة المكتومة، على مستوى القاعدة في الريف والمدينة، في شكل تضامن جماعي صامت أحيانا وصاخب في أوقات نادرة . " أصبح من بقي من أهالي الريف أجراء أو مستأجرين أو عمال يومية لدى الملاك الجدد. إلا أنهم استمروا رغم ذلك في ممارسة أشكال من التضامن الجماعي". أما في المدن "ظلت أغلبية ساحقة من السكان في الأحياء التقليدية التي لم يتغير شكلها. بقيت إيقاعات الحياة والعمل في هذه الأحياء إيقاعات عالم راكد، تنكمش حيويتها، ويتناقص إنتاجها مقارنة بالعالم الجديد". شهدت المجتمع في بدايات القرن التاسع عشر، عمليات عنيفة وأحيانًا دموية لترتيب الفاعلية السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فكانت علميات "إقصاء وحشي لطبقة المماليك والإضعاف التدريجي للجماعات التقليدية. انفتاح السوق المحلية على السوق العالمية والاعتماد المتزايد على التبادلات النقدية. تكوين طبقتين اجتماعيتين متباينتين، بل متنافستين، على أساس الملكية الخاصة للأراضي، إحداهما تركية شركسية والأخرى مصرية. دخول فئة ماليين أجانب، مهيمنين على أهم روافع الاقتصاد الحديث. بزوغ صفوة مثقفة في طور التحديث (طلبة، أساتذة، موظفين، أعضاء مهن حرة)، حاصلة على تعليم علماني (إضافة إلى التعليم الديني)، ميزها عن الصفوة التقليدية من الأعيان والعلماء."

إلى جانب هذا، أصابت حداثة دولة الباشا في القرن التاسع عشر، الثبات النفسي والاستقرار الوجداني لفئات المجتمع بالاهتزاز الشديد، "مجتمع كانت غالبيته العظمى تتكون من رعايا هائمين بين أبدية أضحت ممزقة وحاضر غامض، بشر في أحيائهم وقراهم وعشائرهم". علاقاتهم مركبة مع علمائهم وشيوخهم. تنامت طاقات الغضب في أوردة الجسد المصري، لكنه لم يكن غضبًا يؤسس ما بعده، إذ أن البنية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع المصري، لم تعد مقسمه إلى مجرد حاكم له السطوة ومحكومين مسحوقين، إذ غدت البنية الاجتماعية أكثر تعقيدا وتركيبا، "إذ تعرض الكيان الاجتماعي لانشقاق رأسي يفصل بين عالم الجماعات التقليدية الأزلي، وبين عالم بازغ، يتكون من فاعلين اجتماعيين جدد، يستكشفون آفاق الاستقلالية والمسئولية الشخصية". هكذا، ولدت ازدواجات وانشقاقات اجتماعية، جعلت الكيان الاجتماعي الموحد في حال الحراك السياسي الاجتماعي، حلما صعب التحقق. وإلى جانب هذا كان "هناك المنتفعون من مشروع تحديث الدولة، وهناك ضحاياه. فلقد انتزع هذا المشروع عددا كبيرا من الفلاحين ونقلهم بعيدا عن جماعاتهم التقليدية، ولكنه لم يعطهم شعورا جديدا بالمسئولية الفردية.

عاش مئات الآلاف من المصريين هذا الانتزاع على أنه مصيبة كبرى. ومن بينهم الذين ضموا قسرا إلى الجيش. شوه الكثيرون منهم أنفسهم ليفقدوا صلاحيتهم للتجنيد، بينما هرب من استطاع، ولجأ سكان قرى بأكملها إلى تلال مجاورة ."

حدث فيما بعد، تحت حكم سعيد وإسماعيل، أن أرغم عشرات الآلاف من الشبان على ترك قراهم، كعمال سخرة لحفر قناة السويس. لم يكن نظام السخرة جديدا عليهم، فهو إحدى السمات المميزة لكونهم رعايا، وقد ألفوه منذ قرون. إلا أنه كان يطبق حتى الآن داخل قراهم، أو في محيطها القريب، في أمور مثل توسيع قنوات الري، أو العمل دون أجر في أرض الملتزم. وكانت تلك المعاملة جزءا من حياة الجماعة الريفية. عندئذ عاشوا في آن واحد، الانفصال العاطفي والإبعاد الجغرافي والتغريب المناخي ومعدلات عمل مضاعفة من قبل المقاول الأوروبي. فلم يؤد ذلك إلى تأصيل للمسئولية الفردية، وإنما أدى إلى ضياع عام للمرتكزات الذاتية، ومن ثم إلى الحزن والمرض والموت. وأخيرا، سمة ثالثة للانتزاع، أدى تقنين حق الانتفاع الخاص، ثم حق الملكية الخاصة للأرض، إلى تكوين كتلة متزايدة من الفلاحين المعدمين، المنقطعين عن القرى التي نشئوا فيها. ليتحول بعضهم إلى عمال تراحيل، يتنقلون من قرية إلى أخرى للقيام بأعمال موسمية مقابل أجر هزيل". بينما كان في البر الأخر للحداثة وتأثيراتها، كانت الصفوة الاجتماعية، ممثلة في الملاك الزراعيين الجدد(ممثلين في العمد بشكل جوهري)، وفي المدن كانت ممثلة في صغار المقاولين، والموظفين المدنيين أو العسكريين، وأعضاء المهن الحرة. يملكون حياة بدت أقل تعاسة.

خلقت ببساطة هذه السياسيات ازدواجية تكاد صارمة بين عالمين كانوا يحيون في تقارب ذهني واقتصادي من قبل عالم الصفوة، وعالم الرعايا. وفي تلك الأجواء، تعلم "الموظف أو صاحب المهنة الحرة أو مالك الأرض، أن يعيش حضوره الشخصي في المجتمع، ليتميز عن اللا وجود الشخصي الذي هو نصيب الغالبية العظمى من الرعايا. فلم يعد أفراد الصفوة الجديدة مسيرين من قبل قوى تتجاوزهم تماما، بل خطوا خطواتهم الأولى بصفتهم فاعلين اجتماعيين. ببساطة "إن عملية تكوين الصفوة المصرية الجديدة قد نبعت من إرادة الحاكم، واتسمت من البداية بالروح التسلطية.. فقد تم نقل المصريون المعنيون، من عالم لآخر دون استشارتهم، بل رغما عنهم، ثم كان على كل منهم التكيف بطريقته مع العالم الجديد على الصعيدين الفكري والأخلاقي. وجدت الصفوة المصرية المستحدثة نفسها عندئذ ممزقة بين اتجاهين متناقضين – الأول نابع من علاقة التبعية التي تربطها بالحاكم، والآخر نابع من الاستقلالية الذاتية التي بدأت تكتسبها. فمن جانب، مال أفرادها لطاعة الحاكم الذي يجب الإذعان له حتى وإن خان قدسية مهمته، إذ إنه الإمام المجسد لوحدة الجماعة في وجه الكفار، ودرعها الوحيد أمام الفتنة. ومن جانب آخر، مالو إلى ممارسة ضغوط متزايدة على الحاكم، للحصول على ضمانات دستورية تحميهم من نزواته، وتفرض عليه اتخاذ موقف أكثر صلابة في مواجهة القوى الأوروبية. فلم يكن للتبعية العضوية التي واكبت الصفوة الجديدة، أن تدوم للأبد ."

رغم كل الصخب السياسي الذي امتلأ به الفضاء في العام زمن الثورة العرابية وما قبلها.. إلا أن القوى الحيوية التي تمخضت حالة الحراك القاعدي التي قامت بها دولة الباشا وأسلافه من بعدة (ممثلة في النخبة المتعلمة والمثقفة المهنيين المهن الحرة، والأعيان والحائزين الجدد على ملكيات الأراضي من غير الأتراك والشركس، والعسكريين من أصول ريفية) "كانت هذه القوى تفتقد الوعي بالدور الذي يمكن أن تلعبه منهم، فلم يكن لديهم سجل خاص لترجمة تطلعاتهم الناشئة إلى واقع جديد. لذلك لم يدرك المحكومين أنهم يشكلون أصل الحدث التاريخي الذي يعيشونه. لم يدركوا أنهم هم الذين أتاحوا ظهور الزعيم ليجسد صورة جديدة للعلاقة بينهم وبين الحاكم، فلم يتخيلوا الحدث كواقع صدر عنهم. تصوروا ظهور الزعيم كأنه واقع مستقل عن إرادتهم". لكن بعد انكسار الثورة ووأد الأمل وعودة كل الفاعليات والحيوية السياسية خطوات للوراء "أخذت أشكال التضامن التقليدي تضمحل في الطبقات الشعبية، فازداد عدد الأفراد الذين

فقدوا جماعاتهم وتحولوا إلى أيتام اجتماعيًا وأذلاء جماعيًا، يعيشون كل يوم مفارقة كونهم أكثر استقلالية على الصعيد الشخصي، ولكنهم في نفس الوقت، أكثر هشاشة وأقل قدرة على حماية أنفسهم". ومن ثم خفت الصوت الاجتماعي والسياسي (المطالب بجزء من السيادة) لأغلب المعمور السياسي، والفئات القاعدية على سبيل التحديد، كانت المصلحة والشأن الخاص هو محور حيوات بشر ما بعد الهزيمة. وخلال هذه السنوات الكبيسة من عمر الوطن ، كان ثمة جروح ألمت بالجسد المصري بين حين وآخر لتشعره أنه ما زال جسدًا واحدًا رغم الاحتلال من قبيل حادث دنشواي، والمرارة والثمن الفادح الذي دفعه الكيان المصري (في عمق الريفي) جراء اشتراكه الجبري في الحرب العالمية الأولى خلف خطوط القوات البريطانية المقاتلة.. كل هذه كانت وكأنها خطوات تمهيدية لانتفاضة هائلة شملت الجسد المصري في كليته في بعده المديني وعمقه الريفي. إنها الثورة التي امتلكت إعادة تعريف السياق السياسي والقانوني لأن تكون مصريًا في هذا الوادي .

الثورة بين زعيم وزعيم

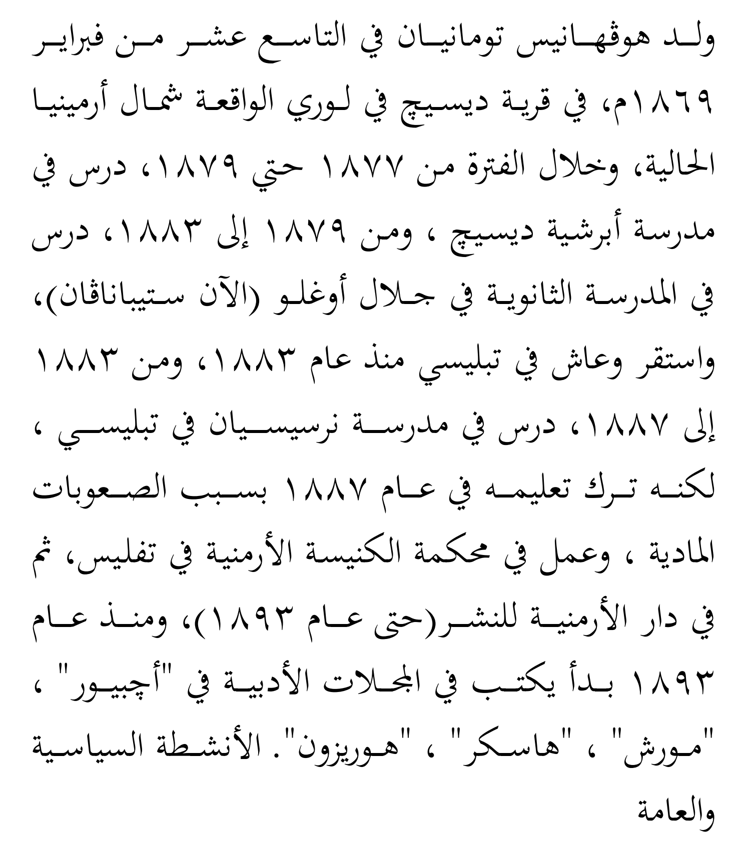
من ثراء التجربة التاريخية المصرية، أننا امتلكنا خطوط ثورية في نسيج السردية الوطنية، سمحت باستكشاف الفعل السياسي، في حال سياق ثوري نخبوي أو شعبوي. وكما هو الحال في المحروسة، غالبًا ما دارت الأفعال السياسية حول الزعيم الملهم. "من أحمد عرابي لسعد زغلول، تغيرت نوعية العلاقة بين الشعب والزعيم. ففي ١٨٨٢، عبرت حركة عرابي عن حركة سياسية عسكرية، موجهة في بداية الأمر ضد العشيرة التركية – الشركسية، ثم اتسعت فشملت الهيمنة المالية الأوروبية. اتخذ عرابي المبادرات كافة التي جسّدت الحدث، وساندته الجموع بحماس شديد، إلا أنها لم تستول على الحدث، ولم تعتبر نفسها مسئولة عن مساره أو ما آل إليه في النهاية. لذلك عندما أقر عرابي بهزيمته، انصاع الرأي العام، وأنسدل الستار. أما سعد زغلول، فقد أشعل الشرارة وأجج النيران بدءًا من سنة ١٩١٩، وصاغ الأهداف العامة للثورة، إلا أن تواجده الشخصي في وسط الجماهير ظل محدودًا. توقع منها دعما صريحا، لكنه لم يسيطر على حجم هذا الدعم ولم يتحكم في أشكاله. كان التمرد من صنع الشعب. في غياب الزعيم، بل لتعويض وموازنة غيابه. جاءت القرارات من الشارع، نبعت من الساحة العامة. ومن جهة اعتقد البريطانيون بأن نفي سعد زغلول كفيل بإطفاء الحريق. فجاء قرار النفي بعكس ما أرادوه. ذلك لأن المصريين امتلكوا الحدث، جعلوا منه شأنهم. شغلوا الحيز السياسي بأنفسهم. اتخذوا مجموعة من المبادرات الشخصية، والمحلية والوطنية، جسدت قدرة ذاتية جديدة على التفكير والحركة، قدرة كفيلة بتغيير مسار الحدث، وفقا لمطالب صدرت عن ضمائرهم، وعبرت عن رغباتهم الأصيلة. انبعثت المبادرات في العديد من البؤر المحلية، ثم اتخذت تلقائيا بعدا وطنيا. تم في كل مكان الربط المباشر بين الإحساس بالانتماء للحي أو للقرية أو للمهنة، والإحساس بالانتماء الجماعي لمصر ذاتها. مما انعكس في التزامن التلقائي للمبادرات في أنحاء البلاد كافة ."

تقاطع الخط الثوري مع الزعامة مع انخفاض أو ارتفاع مناسيب السلطوية. رغم الرغبات الهائلة في كلا الخطين الثوريين بامتلاك جسد سياسي، إلا أن طبيعة الرأس الكارزيمي المتصدر للمشهدين، والطبيعة الهيكلية للقوى الصلبة التي حركت الثورة، دورا في مآلات كلا الخطين الثوريين. "في العام ١٨٨٢، تصدّر عرابي الأحداث وفرض مبادراته كأمر واقع، كقائد عسكري. وإذ طلب من معاونيه ولاءً مطلقًا لشخصه، فلم يكن ليقبل إخضاع سلطته لرقابة شعبية. تماهت حركته مع تطلع كامن من الجماهير، إلا أنها لم تكن رهينة لموافقتهم عليها. كانت شرعيته من النوع السلطوي. توقع أن يسانده الشعب، لم ينتظر منه إلهاما. بينما في ١٩١٩، كانت شرعية سعد زغلول مختلفة تمامًا. لم تصبح واقعا إلا من خلال الدعم الذي منحه له الشعب. كانت مرهونة، منذ اليوم الأول، بمفهوم أساسي، مفهوم التوكيل. لم يصبح سعد زغلول زعيما إلا بصفته وكيلاً للشعب.

هوڤهانيس تومانيان
(شاعر كل الأرمن)



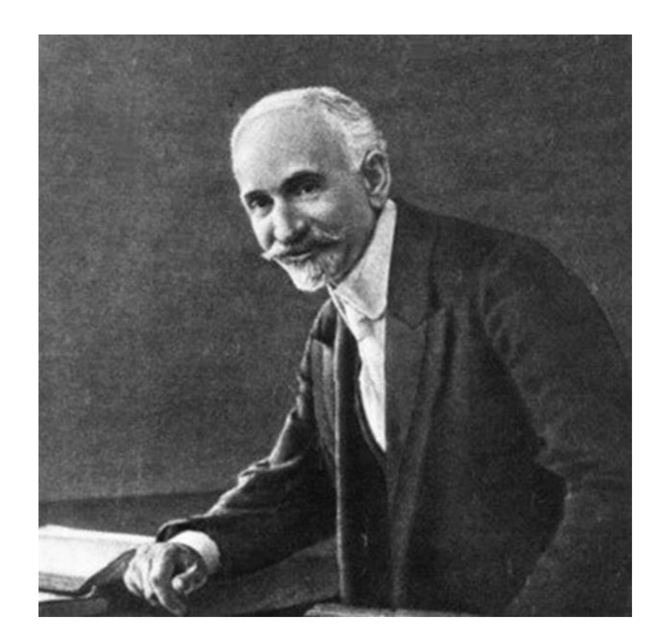
بقلم: عطا درغام



البداية والنشأة

ولـد هوڤهـانيس تومانيـان في التاسـع عشـر مـن فبراير ١٨٦٩م، في قرية ديسيچ في لـوري الواقعة شمال أرمينيا الحالية، وخلال الفترة من ١٨٧٧ حتي ١٨٧٩، درس في مدرسة أبرشية ديسيچ ، ومن ١٨٧٩ إلى ١٨٨٣، درس في المدرسـة الثانوية في جـلال أوغلـو (الآن سـتيباناڤان)، واستقر وعاش في تبليسي منذ عام ١٨٨٣، ومن ١٨٨٣ إلى ١٨٨٧، درس في مدرســة نرسيسـيان في تبليسـي ، لكنـه تـرك تعليمـه في عـام ١٨٨٧ بسـبب الصعوبات المادية ، وعمل في محكمة الكنيسة الأرمنية في تفليس، ثم في دار الأرمنيـة للنشـر(حتى عـام ١٨٩٣)، ومنـذ عـام ١٨٩٣ بـدأ يكتـب في المجـلات الأدبيـة في "أچبيـور" ، "مـورش" ، "هاسكر" ، "هـوريزون". الأنشـطة السياسـية والعامة

أسـهم تومانيـان فى عـام ١٨٩٩م في إنشـاء مجموعـة ڤيرنـاتون الأدبيـة في تبليسـي، وكـان أعضـاؤها:(أڤيتيك إيسـاهاكيان ، وديرنيـك دميرشـيان ، وليڤـون شـانت ، وچـازاروس أچايان، وبيرش بروشيان ، ونيكول أچباليان وغيرهم.) ، استمر عمل المجموعة حتى عام ١٩٠٨، أما بداية القرن العشرين، أصبح تومانيان معروفًا كشخصية عامـــــة، و بـــــين عـــــامي (١٩٠٥-١٩٠٦) شغل منصب الوسيط خلال المعارك



وأدان بشدة أولئك الذين أثاروا كراهية الشعبين، ولطالما كـان يشعر بـالقلق والتطرق إلى مصير الشـعب الأرمني، وهـو حالـة الأرمـن الـذين تم تـرحيلهم مـن أرمينيا الغربية نتيجـة للإبـادة الجماعيـة عـام ١٩١٥م؛ إذ عمـل علي مسـاعدة اللاجئين الأرمـن، وخاصة الأطفال اليتـامى في إيتشـميادزين، كمـا انضـم في عـام ١٩١٤م، إلى لجنـة مساعدة ضحايا الحرب، الذين ساعدوا فيما بعد الناجين من اللاجئين الأرمينيين المرحلين في إيتشميادزين. وفي عام ١٩١٢ انتُخب تومانيان رئيسًا لجمعية الكتاب الأرمنية الـتي أُنشـئت حـديثًا، وفي عـام ١٩١٨ رئـيس اتحـاد النقابات الوطنية الأرمنية (IAU).

وفي عـام ١٩١٨ أنشـأ الاتحـاد الفلكـي الـدولي لجنـة التحقيق بقيادة تومانيان لحساب الخسائر التي تكبدها الأرمن خلال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨)،

كمـا شـارك في مـؤتمر بـاريس للسـلام (١٩١٩ – ١٩٢٠)، ومـن ١٩١٢ إلى ١٩٢١ كـان رئـيس اتحـاد الكتـاب الأرمـن ، كمـا تـرأس لجنـة الإغاثـة الأرمنيـة (١٩٢١ – ١٩٢٢). وفي خريـف عـام ١٩٢١غـادر تومانيان إلى إسطنبول لمساعدة للاجئين الأرمن بعد أن مكث هناك لعدة أشهر ، عاد مريضًا بعد جراحة عام ١٩٢٢ ، ولكن في سبتمبر من العام نفسه تمكن منه المرض حتي نُقل إلى مستشفى في موسكو ، فوافته المنية في الثالث والعشرين من مارس ١٩٢٣ ، عن عمر يُناهز ٥٤ عامًا.

جذوره الأدبية

يقدم هوفهانيس تومانيان في مذكراته في الجزء المخصص لفترة الطفولة، شخصية والده تيرماتيوس، باعتباره لا فقط راعي كنيسة أرمنية يرتل الأناشيد الطقوسية المعتادة، وإنما أيضَا بوصفه شاعراً ينشد قصائد ملحمية، مصحوبًا بالتشونكور، الآلة الموسيقية الشعبية ذات الأوتار المشدودة، وإن أردنا معرفة مصدر انبهار تومانيان عندما كان طفلاً بالشعر القصصي وتأثيره في مخيَّلته، علينا البحث في هذه البيئة التي نشأ فيها.

أما شخصية الأم سونا، فهي توحي للطفل تومانيان بالمناظر الطبيعية في قرية ديسيچ، مسقط رأسه: "وُلدت أمي وترعرعت في الجبال. لقد كانت بنتاً من الجبال"، هذا ما كتبه لاحقاً هذا الشاعر الذي نظم أبياتا جميلة يصف فيها الجبال الوعرة في أرمينيا. وبالإضافة إلى هذه الصورة المثالية، تُنسب القصص العائلية أصل الأسلاف إلى أسرة أمراء ماميكونيان العظيمة، الذين تولوا قيادة الجيوش الأرمنية طيلة عدة قرون. وسواء تعلق الأمر برواية عائلية أو قصة أسطورية، فإن تومانيان كان متيقنًا من أنها الحقيقية، ولو أن بحثه في أصول سلالته لم تُفض إلى النتيجة المنشودة. قضى الشاعر طفولته في عالم رائع يزخر

وقد كان والده مشحونًا بطاقة مزدوجة من القداسة والعلمانية، وهذا ما يفسِّر كيف استوعب تومانيان في ما بعد سرد القصص كطريقة للتفكير ونقل تقاليد الأسلاف والعادات الشعبية.

كان هوفهانيس عصاميًا مستنيرًا ومولعاً بالمطالعة؛ فانغمس في الثقافة سواء كانت أرمنية أو أجنبية، وقرأ لشعراء روسيين (لرمونتوف، بوشكين)، وألمان (جوتة)، وإنجليز (بايرون، ميلتون، شكسبير)، وأمريكيين (لونچفلو) وغيرهم كثيرون، كما ترجم العديد من تلك الأعمال إلى اللغة الأرمنية، وقد تأثر بالفلكلور الغربي والشرقي على حد السواء. كما اشتهر تومانيان كشاعر بعد أن صدر ديوانه " قصائد " (١٨٩٠-١٨٩٢) . وأثناء ذلك ، كان يكتب أيضاً في عدد من الصحف الأدبية، و أضحى في تصوير حياة الناس والرغبات الوطنية والاجتماعية من أولويات الأدب الأرمني في نهاية القرن، وقد جسَّد ذلك تومانيان بشكل جيد، فكان يرى أن الأدب الشعبي الحقيقي يجب أن يتضمن الروح الوطنية والألم والسعادة والعادات والاحساس، كما صور في قصائده الصادرة عام ١٨٩٠ الصراع النفسي – الاجتماعي الخاص بالريف الأرمني.

وبعد تلك الفترة الشعرية الوجيزة من ١٨٩٠ إلى ١٨٩٦، أضفى على قصائده السردية نغمة جديدة غير مألوفة يصعب تصنيفها في أيّ نوع من الأنواع الأدبية الموجودة ؛ فأتت كافة مسرحياته الأدبية الجديدة على شكل سرد شعري مقفّى، منظوم في حلقات . وذلك هو القاسم المشترك بينها . حيث يتناول المؤلف الخرافات والأساطير والقصص المشهورة الأرمنية أو القوقازية، في صياغة أخرى ترمي بكل وضوح إلى طبعها ببعد رمزي.

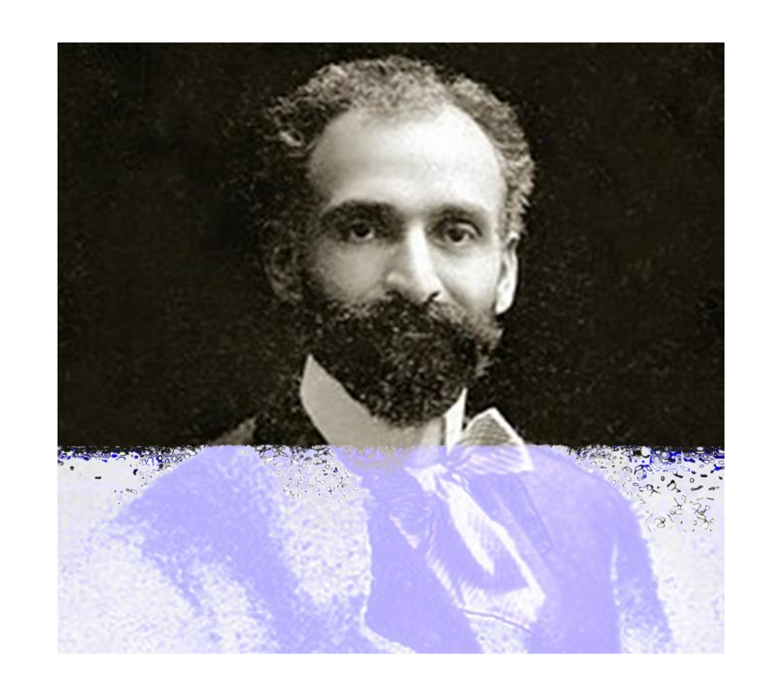
مرحلة الإبداع الأدبي

وفي بداية القرن العشرين، أصبح تومانيان متمكّنا بصفة فائقة من أسلوب السرد الشعري المنظوم، لاسيما من خلال قصيدتي "أنوش" و"حصار حصن تموك". وتُعد قصيدة "أنوش" ملحمة رعوية تدور أحداثها في الأجواء الرائعة لمنطقة لوري، من ستة أناشيد تسبقها مقدمة موسيقية. أما قصيدة "حصار حصن تموك" فهي تتناول واقعة تاريخية: انخِداع زوجة الأمير تاتول بوعود ملك بلاد فارس نادر شاه، وخيانتها لزوجها وتسليمها الحصن إلى العدو. أما المنتصِر، فبعد أن دمّر كل شيء، انقلب على الخائنة وأمر بقطع رأسها. وتكتسي هذه القصيدة بُعدًا سياسيًا أكثر وضوحاً بالمقارنة بقصيدة "أنوش ."

وفي نفس تلك الفترة في عام ١٩٠٢، شرع تومانيان في كتابة "داود الساسوني" . وهي ملحمة لم ينشر منها سوى مقطعًا واحدًا . وقد اقتبسها من مؤلَّف مشهور في التقاليد الأدبية الأرمنية، لتبليغ مبادئ اهتم بها كل الاهتمام، ألا وهي: الاحترام المتبادل بين الشعوب، ونبذ كافة أشكال العنف، ورفض جميع أساليب الاضطهاد.

ولقد أسس تومانيان مبدأ استعمال الحكاية الشعبية في الأدب الأرمني لأنها أساس الأدب برأيه، وعلى هذا النمط كتب (أختامار) ١٨٩٢ و(العملاق) ١٩٠٨ و(قطرة عسل) ١٩٠٩.

وقد ألَّف أكثر من عشرين حكاية شعبية أرمنية أهمها (السيد والخادم) عام ١٩٠٨ و(ناظار الشجاع) عام ١٩١٢. وقد درس مشاكل الكون ، والخلود ، والمعيشة والتناظر في أرباب عمله ، حيث وصل إلى نهاية القيم الإنسانية العالمية من خلال تعميم التجارب



وعندما ألف تومانيان " الكلب والقطة " ١٨٩٢، و" التجار الذين لم يسعفهم الحظ" ١٨٩٩، و"دير الحمامة"، أو أيّة قصة أخرى؛ فإن قدرته الإبداعية لا تكمن في المواد التي يستخدمها بقدر ما تكمن في الطريقة التي ينتهجها في قيادة الأحداث نحو فكرة أساسية لا يكشفها إلّا في نهاية السرد. وفعلا، تعرض كل قصة حيوانات أو أشخاصًا في خضم أحداث تتطور حسب نسق دقيق، لتصل بهم إلى الذروة: العبرة الأساسية المقصودة، في صيغة مختصرة.

وقد جعل هذا المنهج الأدبي المتميّز منه قصّاصاً لا نظير له، متمكّنا بصفة فائقة من القافية والكلمة على السواء، وهذا المنهج هو ثمرة عمل دؤوب نجد آثاره في المسودات العديدة والصيغ المتتالية لنفس النصوص. وكثيراً ما يُعيد الشاعر كتابة نصوصه حتى تلك التي سبق نشرها، ليحوّرها بشكل عميق، ومن الواضح أنه كان يسعى إلى صياغة التعبير الأكثر بساطة، وخلافًا للعديد من نظرائه الذين كانوا يفضّلون الإطناب، فقد جعل تومانيان من الاختصار والتلميح والعبارة المناسبة والدلالة الواضحة منهجاً شعرياً حقيقياً.

الشخصية. كما تُعد كتاباته من أفضل صفحات النثر في الأدب الأرمني والتي استقى وحيها من الطبيعة والحياة الريفية. وأبرزها (كيكور) ١٩٠٧ وهي قصة ولد ريفي في مدينة برجوازية.

وأثناء جريمة الإبادة الجماعية التي اقترفت بحق الأرمن في عام ١٩١٥، نظّم تومانيان عمليات إغاثة للاجئين الأرمن الذي فرّوا من المدن والقرى المدمرة. وتقع هذه التجربة الأليمة في صميم أجمل قصيدتين من تأليفه: "صلاة الجنازة" و"إلى وطني"، وهي قصائد خالية من المغالاة في العواطف ومن مشاعر البغضاء، رغم أن مثل هذه العواطف والمشاعر كانت سائدة إلى حد كبير آنذاك في هذا النوع من الأدب. وأحدث تومانيان ثورة في الأدب الأرمني على المدى الطويل في أعماله، ولقد عكس بعمق نفسية وأفكار وتطلعات الشعب الأرمني، كما تطرق إلى مواضيع وطنية ، اجتماعية ، سياسية ، فلسفية ، حب في شعره. يتم التعبير عن الاحتجاج على صورة الحياة الحقيقية والظلم الاجتماعي في أغنية "أغنية چوتان" و" هوتيوت" وغيرها من القصائد. قصيدة "البركة القديمة" هي التقاء أحزان الشعب الأرمني وتطلعاته وأحلامه. وإن الحديث عن التاريخ الذي عاشه الشعب الأرمني منذ قرون، والمعاناة، والعذاب، في قصيدة "الجبال الأرمنية" ، يوضح فيها صدق الروح الخلاقة والمبدعة للوطن.

"وعِيُونُنا تَبدو شوقاً .. بعيدًا عَن النجومِ فِي سماءِ السماء .. عِندَمَا يتَعَلقُ الأمرَ صباحٌ مشرقٌ، فِي الجبالِ الأرمنيةِ ، الجبالِ الخضراء".

وأعلن في بداية عمله كشاعر:" إلي الطبيعة وإلي الشعب أيها الكتاب الأرمن". هو ابن القرية وقريب جدًا وخاصة سحر مسقط رأسه بقمم جباله العالية ووديانه السحيقة قد أثرت فيه، وهو الشاعر الشعبي الذي يستلهم التراث الشعبي من قصص وحكم في إبداعاته؛ فكان يحب الناس وكان محبوبًا من الناس، وسبب شعبيته الجارفة لقلب " شاعر كل الأرمن"، يتميز شعره بلغة بسيطة جذابة وأيضًا باللون المحلي الذي يجعل شعره ذا حلاوة خاصة وحي.

ولقد مرّ مائة عام على وفاة هوفهانيس تومانيان، غير أن قصائده لم تفقد أيّ ذرة من قيمتها الابداعية، ولا من شحنتها العاطفية ولا من قدرتها على إثارة التفكير. أما في بداية القرن العشرين، ابتكر هذا الكاتب أسلوبه الشخصي، مستلهمًا من التقاليد الشفهية الأرمنية، لينظم قصائد قصصية مُقفّاة. ومن بين الآثار الفنية التي استلهمت من شعره، نذكر على وجه الخصوص، أوبرا "أنوش" لأرمين ديكرانيان، وأوبرا "ألماست" لألكسندر سبنداريا .

نماذج من شعره جزء من قصيدة مباركةٌ قديمةٌ

تحتَ شجرةِ الجُوزِ الخَضرَاء العِملاَقةِ
يجلسُ أجدادُنا وَآباؤنا سادةُ القريةِ
يَجلسُون القُرفصَاءَ بقَامَاتِهِم العَاليةِ
يشَّكلون حَلقةً مِن المرحِ والفَرحِ
كُنَّا ثلاثَةَ أطفالٍ رِيفيين
نَموجُ بِالحَيويةِ والنَّشاطِ
ثلاثةٌ مِن زُملاءِ الدِّراسةِ
نقفُ أمَامَهم حَاسِري الرؤوس
خَاشِعِين نَضعُ أيدِينَا عَلي قُلُوبِنَا
نُؤَّدي بِصَوتٍ حَادٍ قَوي
أُنشُودةً سعيدةً وننتظرُ رأيَهم
وحِينَمَا انتَهت أُغنيتُنا المرحَة
فَتل رئيسُ الحَفلِ المتَجَهمُ شَاربَهُ
وَرَفَعَ كَأسَهُ وَمَعَهُ كُلُ الكِبَارِ فِي المجلِسِ



تاريخ دخول "الشاي" إلى مصر.. وحرب تعكير المزاج

بقلم: هدير مسعد

يُعد " الشاي" مزاج المصريين.. وواجب الضيافة الأول، والمشروب الأساسي على المقاهي، ويصل الاستمتاع بشرب الشاي أن أصبح له أوقاته المميزة وطقوسه مثل "وقت العصاري".. وأصبح المشروب الشعبي الأول.. فتاريخ دخول الشاي إلي مصر له حكاياته وسحره الخاص، هذا ما أكده الكاتب الألماني كريستوف بيترز في كتابه "الشاي..ثقافات..طقوس..حكايات"؛ إذ يقول:" اكتشف في مصر، أن الشاي يتعدَّى كونه مشروبًا، وإنما يكاد يكون مادة سحرية تحمل الناس على الجلوس والسهر لساعات، والمناقشة في أمور ذات شأن: كيف نريد لحياتنا أن تكون؟ ومن أين جئنا؟ بغض النظر عن خلفياتهم الدينية والاجتماعية ورؤيتهم للعالم، كل ما هنالك أنه يشحذ الانتباه وينعش الحواس، ويمنح زبائنه أوقاتًا سحرية.

وقد اختلف المؤرخون حول تاريخ دخول الشاي مصر، فيرى البعض إنه بدأ دخوله مع الحملة الفرنسية إلى مصر(١٧٨٩-١٨٠١)، وآخرون يرون أن الفضل يعود إلى الزعيم أحمد عرابي، بعد نفيه إلى جزيرة سيلان (سيريلانكا حالياً)، ولكن الرواية الأكثر شيوعاً هي دخول الشاي مع الضباط البريطانيين عام ١٨٨٢،



ولكنّه استمرّ بدايةً مشروباً مقصوراً على العائلات الأرستقراطية والملكيّة والأمراء وكانوا يسمّونه وقتها «الخرّوب»، ثمّ عمّ شرب الشاي بمساعدة من حملات التسويق الإنجليزية.

وتطالعنا بعض المصادر والكتب التاريخية على قصة انتشار الشاي في مصر وارتباطه بحياة المصريين، وهنا تؤكد جيهان مأمون في كتابها "من سيرة المماليك": ظلت القهوة هي مشروب الضيافة الرئيسي عند المصريين على مر العصور حتي اكتشاف مشروب الشاي الذي دخل مصر عام ١٨٨٢ في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، وأصبح هو المشروب الشائع لدي المصريين. وهناك رواية أخرى تقول إن الفضل في وصول الشاي إلى مصر يعود إلى الزعيم أحمد عرابي ورفاقه، اللذين لهم دور كبير في معرفة المصريين شرب الشاي لأول مرة وذلك

بعد أن تم نفيهم إلى جزيرة سيلان. حيث قضى عرابي ورفاقه قرابة الـ٢٠ عاماً في المنفى حتى تم العفو.

وفي هذه الجزيرة جلس عرابي ورفاقه مع السير تومان ليبتون، والذي يمتلك (مزارع شاي ليبتون) ليستضيفهم في مزرعته لشرب مشروب تناولوه لأول مرة وهو الشاي، لم يعجبهم في بداية الأمر ولكنهم تعودوا عليه وأصبح مشروبهم المفضل في المنفى.

وقرر عرابي أن يرسل الشاي لشقيقه وأهله وأصدقائه في مصر من أجل تجربته، وإذا كان هذا المشروب طعمه جيدًا بالنسبة لهم سيقرر إرسال المزيد منه.

على أية حال، يُمكن القول أن رغم دخول الشاي منذ نهاية القرن التاسع عشر إلي مصر، إلا أنه لم ينتشر بين عامة المصريين ويصبح شرابهم الرئيسي إلا مع بداية الحرب العالمية الاولي (١٩١٤-١٩١٨) أي في بدايات القرن العشرين، و يذكر لنا توماس راسل حكمدار القاهرة في الفترة من عام ١٩١٨ إلى ١٩٤٦، في كتابه "مذكرات توماس راسل"؛ إذ يقول: "نجحت الحكومة بوسائلها المختلفة في وضع صعوبات كثيرة في طريق التجارة المحرمة، ما أدى إلى ارتفاع الأسعار لما فوق قدرة كثير من الفلاحين، ومع عدم قدرتهم على شراء الحشيش والهيروين. فقد لجأ البعض إلى عادة جديدة هي شرب الشاي المغلي"، مضيفاً: "وأستطيع أن أقول: إن الجميع يعلم أن ما يسميه الفلاحون الشاي الأسود يأخذ كثيراً من أموالهم وصحتهم."

الشاي.. خطر أسود يهدد الفلاحين:

بمرور الوقت أصبح الشاي هو "مزاج المصريين" ومُعدل مزاجهم أو بمعني أصح هو "الإدمان- أو الكيف الحلال".

لدرجة أن الأمر تفاقم وأدي إلي استياء الحكومة المصرية، وتحت عنوان "خطر أسود يهدد الفلاحين ..أثر الشاي الأسود في صحة الفلاحين وقواهم" نشرت صحيفة المقطم في أكتوبر عام ١٩٣٢م ، حواراً مع جلال بك فهيم وكيل وزارة الزراعة بمصر أجراه الصحفي "كريم ثابت" أحد الصحفيين المؤسسين لصحيفة المصري، حيث يظهر الحوار تاريخ دخول الشاي لمصر بالإحصائيات والأرقام الموثقة. وقد تناول "ثابت" في مقدمة الحوار حال الفلاح المصري الذي كان يمتاز بعدة صفات منها اقتناعه بالأجر البسيط، واكتفائه في الطعام مما تنتج أراضيه من الجبن والخضراوات والخبز، مؤكداً أن طعام الفلاح هو الذي أعطاه القوة والنشاط والصحة الجيدة، بالإضافة لابتعاده عن اللحوم فهو لا يأكلها إلا نادرا حيث إنها مضرة للجسم، وكيف أن الوضع حاليا تغير بعد إدمانه للشاي الأسود".

واستكمل "ثابت" مقدمته قائلاً: أن الحالة لا تبعث عن الاطمئنان وشرب الشاي قد استعظم وأنه لابد من مواجهة التردي لأنه لا يصح التراخي، وأن الفلاح منذ عودته من أوروبا من أجل الحرب العظمي وهو ينشر عادة شرب الشاي بين أقرانه، مضيفا" فلم ينقض على ذلك زمنا طويلاً حتي أنتشر انتشاراً سريعاً وطغى على جميع طبقات الفلاحين فتراهم يحملون معهم الشاي إلي جانب معداتهم إلي الحقل".

وكان أهم ما ورد في هذا الحوار هو ما قاله جلال بك فهيم وكيل وزارة الزراعة، الذي بدأ بمقولة الروائي الفرنسي موريس ديكوبرا الذي زار مصر "إن أبرز ما استوقف نظري في مصر هو اجتهاد الفلاح المصري ونشاطه وتجلده في العمل".

ولكن الوضع تحول رأسا على عقب بعد معرفة الفلاح الشاي وادمانه له. واستكمل قائلا: "الفلاح المصري النشيط صار غريباً ومختلفا فقد صار يأخذ معه الشاي في الحقل، ولو اقتصر الأمر على ذلك لهان، لكنهم يشربون من الشاي ما أرادو، ويغلونه إلي أن يصبح لونه أسود تقريبا، وهم يشربونه بهذه الكيفية عدة مرات، وقد يستغنون عن الطعام لكنهم لا يستغنون عن الشاي، وقد لا تجد عند الفلاح غلة لمأكله مثل القمح والشعير ولكن لابد أن تجد عنده الشاي والسكر". كما قدم فهيم بك إحصائية عن استهلاك المصريين من الشاي، حيث استهلكت مصر من الشاي في عام ١٩١١م، وهو العام الذي انتشر فيه الشاي مقدار ٨٩٥ ألفا و٧١٥ كجم ، وبعد الحرب العظمي وفي عام ١٩٢٠م استهلكت مصر مقدار مليون و٦٢٣ ألفا و٢٩ كجم سنويًا، أما في عام ١٩٣١م فقد استهلكت مصر نحو ٦ ملايين و٩٩١ ألفا و١٥٤ كجم من الشاي، مؤكداً أن متوسط الزيادة من استهلاك المصريين للشاي في السنوات الأخيرة يصل لنحو٥٩٪ مقطوعة من إنتاج الحرب العظمي.

وطالب فهيم بك الحكومة المصرية بمنع استيراد الأنواع الرديئة من الشاي وأن تقوم باستيراد الأنواع الجيدة فقط ووضع ضريبة عالية عليها حتي يتعذر على الفلاح شربه. وأكد أن مديرية الطب البيطري بوزارة الزراعة أعدت مذكرة تفصيلية عن مخاطر الشاي الأسود وتأثيرها على الفلاحين، وجاء في المذكرة أن الكافيين جوهر سام ينبه المجموع العصبي والعضلات ويزيل شعور التعب والميل إلي النوم، كما يطيل ضربات القلب ويرفع ضغط الدم، مضيفًا أن الكافيين في الشاي إذا أعطي بنسبة كبيرة يسبب اضطراباً في الأعصاب ويخفق القلب بشدة ثم يقف، كما أنه يؤدي لتباطؤ حركة التنفس بعد إسراعها.

وأكد أن مذكرة الطب البيطري حذرت كثيرًا من شرب الفلاحين للشاي الأسود، كما حذرت من أن التنبيه . والنشاط الذي يعتري الفلاحين بعد تعاطيه هو شعور وقتي ينتهي بسرعة، واختتم الصحفي كريم ثابت حواره بدق ناقوس الخطر مطالبا الحكومة بالإسراع في تنفيذ مطالب وكيل الزراعة، حرصا على سلامة الفلاح وإنقاذ اقتصاد مصر الذي يعتمد على الثروة الزراعية

محاولات الحكومة في القضاء على مزاج المصريين:

ويبدو أن الفلاحين آنذاك وصل الحال بهم إلى ما يشبه إدمانَ المواد المخدرة، خاصة أن الدكتور محمد حسين هيكل، اتفق مع الطرح السابق، وكتب في إحدى مقالاته قائلاً: "لطالما تكررت الشكوى في السنوات الأخيرة من أن الفلاحين في مصر أصبحوا أشدَّ إقبالاً على تناول الشاي الأسود المضرّ بالصحة، منهم علىٌ اقتناء المأكل والملبس اللازم لهم ولأولادهم. ولم يكن شيء من ذلك قبل الحرب العالمية الأولى... لم يكن الفلاح المصري يعرف الشاي الأسود".

وبناءً على ذلك، كان لا بدّ أن يفكر المسؤولون في مصر في حيلة يمنعون بها الفلاحين عن تعاطي "الشاي المغلي"، الذي بات يشكل خطراً على صحتهم، وكذلك غشّه التجاري، وبناءً عليه كلفت الحكومة وزارة الصحة عام ١٩٣٨، بعمل دراسة علمية عن الشاي الذي يشتريه الفلاحون ويستهلكونه، وانتهت إلى أنه "على الرغم من أن كمية الكافيين متناسبة مع كمية الشاي المستخدمة، ولا تعتمد على طول فترة الغليان، فإن كمية الكافيين المطلقة التي يستخدمها الفلاح المصري بشكل يومي

كانـــت كافيـــة لأن تصـــبح ضـــارة لصـــحته، بنـاء علـى بيئتـه الطبيعيـة وتأثيراتهـا (خاصـة مـع وجـود الأمراض الوبائية وعدم كفاية التغذية والعمل الزائد على الحد)".

ولعـل أبلـغ وصـف لحـال الفـلاح المصـري بعـد معرفتـه الشاي، ما ذكره الكاتب أنيس منصور في مؤلفه "الدين والـديناميت"، أن الفـلاح يعمـل خمـس سـاعات يوميـاً، يضيع نصفها في شرب الشاي."

علوي الجزار ينتصر بالشاي الشريب:

ومع مرور الوقت، ورغم محاولات الحكومة، انتصر الفلاح المصري في معركة الشاي، وكأنها حرب يقودها للحفاظ على مزاجه من التعكر، وأصبح للشاي مستوردين، لعل أبرزهم علوي الجزار ابن الحوامدية، خريج كلية الزراعة. حيث كان الجزار يستورد الشاي الخام من جزيرة سيلان، ويصـدره مُصنَّعاً إلى معظـم الـدول العربيـة تحـت مسـمى "الشيخ الشريب"، والـذي أصبح الشـاي الرسمـي المعتمـد عنـد المصريين، بـالرغم مـن وجـود منافسـين مثـل شـاي "زوزو"، إنتاج مصنع الحوامدية، و"كروان" إنتاج مصنع بورسعيد، لكنه بخلاف الجودة فقد تفوق لعدة اسباب اخري منها محاولات الجزار في الوصول إلي "توليفة مزاج المصريين"، فقد كان الجزار يعرف تماماً ما يفضله المصريين في كوب الشاي الخاص بمزاجهم، وكذلك العقلية الدعائية والتسويقية للجزار، وفقاً لما أكده مؤلف كتاب "صنايعية مصر" لـ عمر طاهر.

ويلفت "طاهر" إلي أن علوي الجزار نجح في رَسم وجدان المصريين بصورة الشيخ الشريب، ملامحَ لشخصٍ ارتـاحوا لـه ولابتسـامته سريعاً، "شـخص مـن بينـهم ولـيس نجمـاً سـينمائياً؛ بـه أبـوة ويشـعرك بقرابـة مـا أو بأنـك حتمـاً بـه". وأصبح بمرور الوقت معظم مطابخ ومحلات بقالة ومقـاهي مصـر يوجـد بهـا نتيجـة حـائط أو بوسـتر عليـه صـورة "الشـيخ الشـريب" هـذا الشـيخ الـذي يرتـدي الـزي التقليـدي، ويصـب الشـاي بابتسـامة صـارت أيقونـة في مخيلة المصريين. كـان البعض يعتبرون هـذه الصـورة محض خيـال فـني، لكنهـا شخصـية حقيقيـة، وهـو لـيس شـيخاً لكنهـا صـورة(عـم عرفـة)، الـذي كـان يعمـل سـائقاً عنـد علـوي الجـزار، وكـان الأخـير يحبـه ويتفـاءل بـه، فقـرر أن يجعل صورته رمزاً للشاي الذي اجتاح مصر بقوة حتى نهاية الثمانينيات."

عقلية الجزار الفذة –بحسب طاهر– لم تكن لتتوقف عند هـذا الحـد، و"إنمـا كانـت إعلانـات الصـحف والمجـلات تخاطب صاحبَ القرار في موضوع الشاي في كل بيت، وهـي المرأة، وجـاءت صيغة إعلانـات "الشـيخ الشريب" واحدة دائماً مفادها: "يقول علماء النفس بعد دراسة إن المرأة تفوق الرجل في القدرة على تمييز طعم المرّ والحامض والمـالح والحلـو، وإنهـا أدق مـن الرجـل في تـذوق الطعـم، ولهـذا اختـارت السـيدة المصرية شـاي (الشـيخ الشـريب) مشروبها المفضل."

وهكـذا أصـبح الشـاي جـزءاً أساسـياً مـن حيـاة معظـم المصريين، ولم تفلح المحاولات كافة في إبعاد المواطن البسيط عن تناوله، إلى أن أصبح الشاي المشروب الرسمي للمصريين. ووفقا للإحصاءات الحديثة، فإن استهلاك مصر سنوياً من الشـاي، يصـل إلى حـوالى ٨٥ ألـف طـن، مـا يقـدر بــ٦ مليارات دولار، وتُعدّ القاهرة الثالثةَ ضمن أكثر المدن العربية استهلاكاً للشاي والقهوة، إذ وصل إجمالي ما يتناوله الفرد الواحـد إلى ٠.٩ كجـم، عـام ٢٠٢٠، بحسـب اللجنـة الدولية للشاي في أحدث إحصاءاتها.

أخبار ومقتطفات



بقلم: د. ملاك نجدى أبوضابة

السفارة الأرمنية في مصر

فى حوار لسعادة السفير السيد / هراتشيا بولاديان سفير جمهورية أرمينيا في مصر لصحيفة أخبار اليوم المصرية بتاريخ ١٤ سبتمبر ٢٠٢٣، والذى أوضح فيه أنه بعد استقلال أرمينيا عن الاتحاد السوفيتي بدأت المساعي الأرمنية على قدم وساق لتطوير علاقاتها مع دول العالم، وفي مقدمتها ملف السياسة الخارجية، والتى أولتها جمهورية أرمينيا أهمية خاصة، وتحديداً منطقة الشرق الأوسط. ومن الجدير بالذكر، أنه تم افتتاح أول سفارة لأرمينيا في الشرق الأوسط في القاهرة عام ١٩٩٢. كما أولت أرمينيا أهمية كبيرة للتعاون السياسي مع مصر، وكانت العلاقات السياسية الثنائية غنية بالزيارات المتبادلة رفيعة المستوى. وعلى مر السنين، قام ثلاثة رؤساء أرمينيا بزيارة مصر.، والتى لديها مكانة مهمة في المنطقة وليس فقط في الشرق الأوسط، ولكن أيضًا في منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط. كما أكد على أن مصر تلعب دورًا رئيسيًا في البنية الأمنية لإفريقيا بأكملها وفي الشرق الأوسط، كما أن نظرة أرمينيا لمصر ليس فقط للعلاقات الثنائية ولكن بشكل عام تقيِّم دور مصر في العالم العربي والإسلامي كله، وأشار سعادته بأن الجالية الأرمنية في مصر لعبت ومازالت تلعب دوراً كبيراً وملموساً في تعزيز الصداقة التاريخية والتعاون الوثيق بين أرمينيا ومصر.



الرائع في الأمر، أن سعادة السفير أشار إلى نقطة جد مهمة وهى أن العلاقات الأرمنية المصرية ليست قائمة على المنافع المتبادلة فحسب، بل هي أيضًا عن الصداقة والروابط التاريخية والثقافية، لأن تاريخ العلاقات بين بلدينا وأممنا أطول بكثير. إن الموقع الجغرافي لأرمينيا وبلاد العرب، بدون شك، لعب دوراً أساسياً في العلاقات العربية الأرمنية والتبادل الثقافي بين الشعبين.

و فيما يخص أزمة سد النهضة أشار سعادته إلى إدراك أرمينيا بأهمية نهر النيل باعتباره أحد المصادر المحورية في تحقيق التنمية والاستقرار لمصر، وأن الماء هو المورد الاستراتيجي للبلد، وانطلاقاً من ذلك أرمينيا مقتنعة أن تسوية أزمة سد النهضة لا يمكن تحقيقها إلا من خلال مفاوضات بناءةً بين جميع الأطراف المعنية، وإجراء تقييم محايد للمخاطر المتعلقة بالبيئة وأمن الطاقة.

وأوضح سعادته، أنه في الآونة الأخيرة، تم تبسيط نظامي منح تأشيرات الدخول بشكل متبادل. وهكذا تم إلغاء طلب الدعوة للمصريين – ويمكن للمواطنين المصريين التقدم بطلب الحصول على تأشيرة مباشرة من سفارة جمهورية أرمينيا في مصر أو من خلال نظام التأشيرة الإلكترونية، وفي حين أن المصريين الذين لديهم إقامة سارية أو تأشيرة صالحة لأكثر من ٤٠ دولة (بما في ذلك دول مجلس التعاون الخليجي والاتحاد الأوروبي ودول شنجن والولايات المتحدة الأمريكية ونيوزيلندا، وما إلى ذلك) يمكنهم الحصول على تأشيرة عند الوصول إلى أي حدود– نقطة مراقبة جمهورية أرمينيا.

استقبل قداسة البابا تواضروس الثاني في المقر البابوي بالقاهرة في الأول من سبتمبر ٢٠٢٣، نيافة المطران أشود مناتسكانيان مطران الأرمن الأرثوذكس في مصر، والسيد هراتشيا بولاديان سفير أرمينيا في مصر، حيث قدما دعوة لقداسة البابا لحضور احتفالات صنع الميرون المقدس في أرمينيا في أكتوبر المقبل، ووعدهم بإرسال من ينوب عن قداسته في هذا الأمر.



و خلال اللقاء، عرض سفير أرمينيا هراتشيا بولاديان على قداسة البابا الوضع الإنساني الكارثي الذي نشأ في اقليم ناجورنو كاراباخ، نتيجة لاتخاذ أذربيجان إجراء غير قانوني بغلق ممر لاتشين، كما أكد سعادته على الحاجة الاستجابة الفورية من جانب السلطات الآذرية و المجتمع الدولي بوقف سياسة التطهير العرقي التي تُنفذها أذربيجان ضد أرمن ناجورنو كاراباخ، وضمان أمن وسلامة أرمن ناجورنو كاراباخ والتأكيد على حقوقهم المشروعة. فيما ناشد قداسة البابا السلطات المعنية في دولة أذربيجان بفتح ممر لاتشين في جنوب القوقاز من أجل سلامة الناس وحفظهم من شبح الجوع، حيث تم إغلاق هذا الممر الحيوي منذ ديسمبر ٢٠٢٢، راجيًا أن يسود السلام بين الدولتين الجارتين.

التعاون الأرمنى المصرى

في إطار المشاركة في المؤتمر العالمي للسكان والصحة والتنمية (PHDC'23) المنعقد في العاصمة الإدارية الجديدة لمصر يومي ٥–٨ سبتمبر، التقت لينا نانوشيان، النائب الأول لوزير الصحة في جمهورية أرمينيا، مع وزير الصحة والسكان بجمهورية مصر العربية د. خالد عبد الغفار لبحث آفاق توسيع التعاون في مجال الرعاية الصحية بين البلدين. كما شارك في الاجتماع سفير جمهورية أرمينيا لدى مصر هراتشيا بولاديان.



وتقديرًا للنجاحات التي تحققت في العلاقات الثنائية، ناقش المحاورون إمكانية تنفيذ برامج تبادل الخبرات بين مصر وأرمينيا في مجال الرعاية الصحية (الصيدلة، ومكافحة الأمراض المعدية، وتدريب الكوادر الطبية، والاعتماد والترخيص). وأبدى الطرفان اهتمامهما بتبادل

المعلومات والخبرات مع بعضهما البعض في عملية إدخال نظام التأمين الصحي الشامل في كلا البلدين. وتم الاتفاق على عقد لقاءات بين الخبراء في المجال من البلدين خلال الفترة المقبلة.

في ٦ سبتمبر، ألقت النائب الأول لوزير الصحة لجمهورية أرمينيا، لينا نانوشيان، كلمة في حلقة نقاش بعنوان "الحكم الرشيد من أجل سكان أصحاء" التي عقدت في إطار المؤتمر العالمي للسكان والصحة والتنمية (PHDC'23). كما قامت نانوشيان بزيارة للمستشفى الحكومي المجهز بأحدث التقنيات في العاصمة الإدارية الجديدة في مصر.

أما عن الأيام الثقافية الأرمنية في مصر خلال العام المقبل، التقى السيد هراتشيا بولاديان، سفير أرمينيا لدى مصر، مع أ.د. دكتورة نيفين يوسف الكيلاني وزيرة الثقافة المصرية في ٤ سبتمبر. معربًا عن تقديرهما للتعاون الثقافي المثمر بين البلدين الصديقين، أعرب المحاورون عن استعدادهما لبذل جهود مشتركة من أجل مواصلة تطوير التعاون. وفي هذا الصدد، أكد سفير جمهورية أرمينيا على أهمية تحديث وتوسيع المجال القانوني ذي الصلة بين البلدين. وأشار السفير هراتشيا بولاديان إلى أن الجانب الأرمني يجري أعمالًا تحضيرية لإقامة الأيام الثقافية الأرمنية في مصر خلال العام المقبل. ومن أجل توسيع التعاون، أكد الطرفان أيضًا على تنشيط الزيارات المتبادلة للوفود الرسمية والمجموعات الثقافية. وخلال اللقاء نقل السفير بولاديان إلى الوزيرة نيفين الكيلاني الدعوة للمشاركة في قمة القائدات السياسية للديمقراطية والسلام والأمن التي ستعقد في أرمينيا في أكتوبر المقبل.



وأعربت الوزيرة عن امتنانها للدعوة، وأبدت اهتمامها بالمشاركة في القمة. فيما التقى وفد من تنسيقية شباب الأحزاب والسياسيين، السفير "هراتشيا ارشاك بولاديان" سفير دولة أرمينيا لدى القاهرة. وخلال اللقاء أعرب وفد التنسيقية عن عمق العلاقات التاريخية بين القاهرة ويريفان، وحجم التعاون الكبير بين الدولتين على كافة المستويات.

من جانبه، تطرق السفير بولاديان إلى الزيارة التي قام بها الرئيس عبد الفتاح السيسي لأرمينيا مطلع العام الجاري، معتبرًا أنها تاريخية، وفتحت العديد من أبواب التعاون بين البلدين في المجالات المختلفة.

وأضاف السفير الأرمني أن الشباب في أرمينيا حاليًا أصبح يُمثل الغالبية في البرلمان والحكومة، مؤكدًا على أهمية تعزيز العلاقة بين المجالس النيابية في البلدين ومع التنسيقية. وقد أكد الجانبان، على أهمية العمل نحو بذل المزيد من الجهود لتوطيد أطر التعاون بين البلدين، مشيدين بالدور الذي لعبته الجالية الأرمنية في مصر عبر التاريخ، خاصة في النواحي السياسية والثقافية.

وفي نهاية اللقاء قدم الوفد ميدالية التنسيقية، للسفير الأرميني تقديرًا لعمق العلاقات بين البلدين. وضم وفد التنسيقية، النائب طارق الخولي عضو مجلس النواب، ومن أعضاء التنسيقية يوسف العوال، أحمد مسعد، و معتز عبدالله.

دراسات

نُوقشت في جامعة بغداد رسالة دكتوراة عن " أرمن مصر في عصري الدولة الفاطمية والأيوبية ٣٥٨/٦٤٨ هـ - ٩٦٨ /١٢٥٠م "، للباحث مصطفي محسن كاظم وتحت إشراف أ.د. صباح خايط عزيز، وقد جاءت الرسالة في أربعة فصول وهي : الفصل الأول عن أصل الأرمن ونشأتهم وتاريخهم ، أما الفصل الثاني عن الحياة الدينية للأرمن في مصر ، وأوضح الفصل الثالث وعنوانه : الحياة الاجتماعية والحضارية الأرمنية في مصر في العصر الفاطمي ، وناقش الفصل الرابع الحياة السياسية للأرمن في مصر. وقد توصل الباحث في دراسته إلى أن أرمن مصر من خلال هجراتهم وحياتهم واهتماماتهم العامة والخاصة في مصر، قد مارسوا وظائف متعددة على كافة الأصعدة خلال العصرين الفاطمي والأيوبي، وقد أثروا بشكل محوري في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والإدارية والسياسية في مصر إبان تلك الحقبة ؛ بيد أن المفارقة التى توصلت إليها الباحث، أن الأرمن قد عاشوا أيام الدولة الفاطمية في رغد من التسامح على كافة الأصعدة. أما في العصر الأيوبي ، تعرض الأرمن لمضايقات إدارية وسياسية ومالية.





تهنئة

انتصارات اكتوبر... ذكري العزة و الكرامة و الإرادة و عدم قبول الهزيمة و اعادة كل شبر من أرض الوطن مهما طال الزمن. تتقدم جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة بخالص التهنئة للقوات المسلحة المصرية الباسلة، ولفخامة الرئيس عبد الفتاح السيسي، وجموع الشعب المصري، بمناسبة الذكري الـ٥٠ لانتصارات حرب أكتوبر المجيدة، واليوبيل الذهبي.

كما أن شهر أكتوبر سيظل هو رمز للانتصارات واسترداد الأرض والكرامة عند المصريين.

فقد ترك انتصار حرب اكتوبر المجيد في ١٩٧٣ والذي نحتفل بالذكري الـ٥٠ بصمة وعلامة مضيئة في نفوس كل مصري و في تاريخ مصر المعاصر وأصبح درس يدرس للأجيال كيف قهرت الإرادة المصرية المستحيل وحققت الانتصار بسواعد أبناءها للوطن الغالي مصر.

البابا شنودة الثالث (مثلث الرحمات) والأرمن